

الكندري، لطيفة حسين ، وملك، بدر محمد (2012م). فن الصداقة الأسرية: (من سلسلة تربية الأبناء السابعة). الأمانة العامة للأوقاف

للحصول المجاني على إصدارات أ.د. لطيفة الكندري (من سلسلة تربية الأبناء) الرجاء مراجعة الأمانة العامة للأوقاف - منطقة الدسمة-ق6-ش المنقف-مدرسة الجاحظ سابقا

سلسلة تربية الأبناء السابعة

الحالات الخاصة

كيف أكون صديقة لابني؟

في حال عدم وجود الأب

أ. د. لطيفة حسين الكندري

أ. د. بدر محمد ملك



المحتويات

2	المحتويات
4	المقدمة
4	الفصل الأول: مرتكزات
4	لماذا أكون صديقة لابني؟
8	افهمي طبيعة المرحلة العمرية لابنك أولاً
9	فسولوجية المراهقة وانعكاساتها
11	قواعد أسرية أساسية
14	نظرة الطفل والمراهق للصدقة
17	الصدقة حاجة نفسية
18	غياب الأب
24	أنواع الأمهات
26	الشدائد لا تمنع نهر السعادة من التدفق
29	الفصل الثاني: ممارسات
29	مرحلة ما بعد الطلاق أو الفراق
34	أم تصنع الحياة وتستمتع بها
36	المهارات التربوية للأم
45	أساليب للتحكم بالغضب الشديد
48	إظهار المودة وغرس القيم
50	نظرية إكس (X) وواي (Y) في التعامل مع سلوكيات الأبناء
52	تطبيقات نظرية إكس وواي في محيط الأسرة
53	تكوين السلوك والبلوغ والصدقات
55	لا صدقة بلا حوار
58	الترويح واللعب ربيع الأطفال
62	الصدقة العقلية والقراءة
65	الفصل الثالث: محفزات
65	نماذج نجحت في تكوين علاقات متميزة
65	أم الأوزاعي ترعى الأمانة
66	أم سفيان الثوري ترسم خارطة الطريق

67.....	أعرابية تنصح ولدها
67.....	المعلمة نانسي والحضارة
69.....	تمارين
71.....	الخاتمة
72.....	أهم المراجع العربية
75.....	أهم المراجع الأجنبية

المقدمة

تستطيع الأم بعون الله سبحانه ثم بعاطفتها الشفيقة، وفكرها القويم أن تسهم فعلا في توفير قسط وافر لا يستهان به من العطاء لابنها لتخفيف ألم فراق الأب وتعويضه الدفء الأسري المطلوب. تسد الأم الفراغ الاجتماعي إلى حد بعيد عبر تطبيق مهارات الصداقة الأسرية الفاعلة، وفن القيادة الحكيمة. أرزاق الله كثيره وأهمها تأليف القلوب لتأنس بالأرواح المحبة، وتطرب بأعذب المشاعر. وستظل الأسرة موثلا للعلاقات المتينة، والصداقات الصافية. بالنظر لأصول التربية وبالاستناد إلى السنن الاجتماعية: قد تغيب شمس الأبوة من سماء الأسرة لأسباب عديدة نتيجتها واحدة، ولكن الأمل يظل بازغا في سماء الحقيقة يمد المخلصين بالعطاء والمضاء والبناء.

التواصل الأمومي Mother – child communication ويقصد به تواصل الأم مع ابنها أو ابنتها، وحوارهما معا، وتفاهمهما حول ما يريده كل منهما من الآخر، وتبادلها مشاعر الود والمحبة والاحترام والرعاية والحماية والاهتمام. لا يقل تواصل الأم مع أبنائها وبناتها أهمية عن التواصل الأبوي، إن لم يكن يفوقه تأثيرا في التنشئة الاجتماعية، وبناء شخصية الابن أو الابنة. تواصل الأم الجيد مع الأبناء مصدر أساسي لأمنهم واستقرارهم النفسي، وإشباع حاجياتهم ونمو شخصيتهم، أما تواصلها الرديء معهم فمصدر اضطرابهم النفسي وحرمانهم من إشباع حاجاتهم وانحراف شخصيتهم (موسوعة الأسرة، ج 3، ص 527-528).

صدق الأحنف بن قيس رحمه الله حينما قال للخليفة معاوية رضي الله عنه عندما سأله ما تقول في الولد؟ قال: " ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم أرضٌ ذليلة وسماءٌ ظليلة فإن طلبوا فأعطيهم وإن غضبوا فأرضهم يمنحوك ودهم، ويُحبوك جَهْدَهم ولا تكن عليهم ثقيلاً فيملؤا حياتك ويُحبُوا وفاتك". وعلى هذا النهج قال الشاعر:

وإنما أولادنا بيننا أكبادنا تمشي على الأرض

ولا ريب أن مستقبل المجتمع متعلق بقوة العلاقات بين أفرادها فإذا قمنا بتربية الأجيال تربية صحيحة وبتتقيفها ثقافة سديدة نجحنا في تشييد صرح بناء شامخ يقدر شأن الصداقة الأسرية ويرفع من قدر المستوى الإنساني. تأتي هذه السلسلة التربوية لتقدم مجموعة مقاربات تربوية على أمل الإفادة منها في فتح مسارات أسرية جديدة والله المستعان.

الفصل الأول: مرتكزات

لماذا أكون صديقة لابني؟

1- نطاق الأمومة يمتد إلى آفاق واسعة منها صداقة الولد، وهذا طموح مشروع لمن أحسن

الاختيار وطلب معالي الأمور.

11- إذا افتقد الابن المشاعر الفياضة في الأسرة قد يبحث عن بديل لها مع أصحاب السوء. يريد الطفل شخصا يعبر له عن حبه له، ويشفي عليه، ويتقرب منه. حسن التعامل مع الأبناء سبيل لتحصيل مصالح الدنيا ومحامد الآخرة.

إن العلاقات الأسرية الإيجابية خط دفاع يقي انحراف الأبناء. لقد سجلت جرائم الأحداث ارتفاعاً خطيراً خلال الآونة الأخيرة وفق تقارير المؤسسات الحكومية المعنية التي اعتبرت إن هذه الظاهرة تنذر بتداعيات تهدد الأمن الاجتماعي في البلاد. وفي هذا السياق كشف تقرير لإدارة الأحداث في وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل أنه تم خلال شهر يوليو 2011م توزيع 247 حدثاً على دور الضيافة والملاحظة والرعاية الاجتماعية والتقييم الاجتماعي ومكتب المراقبة الاجتماعية، وكانت أعداد الأحداث الكويتيين هي الأكبر بين الجنسيات حيث بلغت 158 حدثاً. بلغت أعداد الأحداث المعرضين للانحراف بسبب تلك الخلافات الأسرية 110 أحداث في حين بلغ عدد المنحرفين بسبب الطلاق 28 حدثاً، وجاء تعدد زوجات الأب في المرتبة الثالثة بواقع 7 أحداث بينما وفاة الأب في المرتبة الرابعة بـ 7 أحداث. وحول التهم المنسوبة للأحداث أوضح التقرير أن أولى تلك التهم تتعلق بالجرائم التي تقع على النفس مثل الضرب والمشاجرة حيث بلغ عددهم 38 حدثاً، تليها جرائم الخطف بواقع 12 حدثاً، فجريمة الأذى البالغ بواقع 11 حدثاً، وجاء هتك العرض في المرتبة الرابعة (جريدة السياسة، 2011م، ص 1، العدد 15362-السنة 34، الجمعة 29-7-2011م).

سئل أحد الباحثين هل بالضرورة أن يصبح الآباء أصدقاء لأصدقاء أبنائهم؟ فقال: أجدر بهم أن يصادقوا أبناءهم أولاً، وكما يقول المثل الشعبي "إن كبر ابنك خاويه، وهذا ينطبق على الولد كما ينطبق على البنت، لا بد أن يراعي الوالدان أبناءهم اجتماعياً ونفسياً بأن يشعروهم بالتقدير والتعامل معهم بطريقة تتناسب ومراحلهم العمرية، وكلما أصبحت العلاقة بين الأبناء والآباء أكثر قوة سهل التوجيه من الآباء والانصياع من الأبناء والعكس صحيح... للصدقة قيمة ووظيفة عند كل مرحلة من مراحل النمو.. يؤكد الباحثون على ضرورة أن يصبح الأب صديقاً لابنه، فيصبح أول إنسان يفكر فيه الابن عند حدوث مشكلة معينة ويعتبره الصديق المفضل بين أصدقائه. والسؤال: كم من الآباء يوفر جزءاً من وقته وطاقاته يصبح به صديقاً وفياً لابنه؟ ثم دعاوي متعددة تبرر تقاعس الآباء عن مسؤوليات صداقاتهم لأبنائهم ولكن إذا أصبح الآباء أصدقاء لأبنائهم نضمن بذلك سلامة الأبناء" (حلمي، 1994م). ومظاهر علاقة الصديقين بين الأم وابنتها تختلف من سن إلى سن، فهي في الطفولة تتبدى في الملاعبة والمداعبة ونحوها، وفي المراهقة تتبدى في الصبر على التصرفات (العوا، 2007م، ص 48، بتصرف يسير، سولت، 2011م، ص 71) وفي سن الشباب تغذي الصداقة مشاعر المشاركة على نحو أكبر.

العاطفة هي التي تجعل الصداقة والأمومة أكثر فاعلية فالأمومة والصداقة وسواهما من العواطف

والنزعات الوجدانية التي يحملها بنو البشر ليست غريزة واحدة أولية، بل هي ثمرة التقاء وتقاطع عدد من الغرائز. ففي الصداقة تلتقي غرائز التجمع والهروب من الخطر. حيث أن الإنسان يحس بالوحدة والفراغ حين يكون بعيداً عن أصدقائه، وبالخوف عندما يتعرض لأي تهديد أو عدوان. وفي الأمومة، تتقاطع غرائز الهروب من الخطر والأبوة. فالأم تحنو على طفلها وتشعر بالخوف إذا ابتعد عنها، وتغضب لمجرد توهمها بأن خطراً ما سوف يدهمه، وتفرح لنجاحه وتحزن لإخفاقه (عامود، 2011م، ج1، ص 248).

استناداً إلى جميع المسوغات السابقة يذهب عدد من الباحثين إلى ضرورة توثيق العلاقة بين الأم وابنها في ظل الصداقة لا سيما في مرحلة المراهقة. يقول سيف الدين كريمة (2009م) " فنحن ندعو كل أم وكل فتاة لمتابعة هذا الملف والذي هو عبارة عن دعوة لإقامة الصداقة بين الأم وابنها لأن هذه الصداقة تعود بالهدوء والاستقرار على الأسرة إلى جانب أنها تحقق الصحة النفسية لكلا الطرفين. لأن ضعف علاقة الأم بابنتها يدفع الابنة للبحث عن البديل أو التعلق برفقة سوء أو إقامة علاقة مع الآخر" (بتصرف).

لا بد أن تحاول الأم معاملة الأبناء والبنات على أنهم أصدقاء فيتشجع الكل على بث همومه وتطلعاته وعن حديثه عن آرائه العامة في القضايا المختلفة، فتسود الصراحة، ويلقي المراهق عن كاهله كثيراً من الأعباء التي تقض مضجعه. إن المراهق كثيراً ما ينطوي على نفسه وكثيراً ما يستحي من التحدث عن بعض الأمور ومن واجبتنا أن نشجعه على الانفتاح والبوح، وأن نقف موقف الحكيم المتفهم لما يصارحنا به (بكار، 2001م، ص 206، عبدالجواد، 2005م، ص 61).

الصداقة أفضل أنواع التعلم الثقافي ومن أحسن أنواع التفاعل الاجتماعي لا سيما لتشكيل ثقافة الطفل. ليف فيغوتسكي Lev Vygotsky عالم نفس وتربوي روسي ناقش قضية ثقافة الطفل وأشار إلى أهمية التفاعل الاجتماعي والتعلم عبر التقليد، والإرشاد، والتعلم عن طريق المشاركة. "التعلم التعاوني الذي يشمل مجموعة من الأقران المتعطشين لفهم بعضهم بعضاً وللعمل متآزرين لتعلم مهارة معينة. تدمج نظرية فيغوتسكي البيئة الاجتماعية مع الإدراك، فالطفل سوف يكتسب طرائق التفكير والسلوك التي تكوّن ثقافته عن طريق تفاعله مع شخص أكثر معرفة. ويعتقد فيغوتسكي أن التفاعل الاجتماعي سوف يفضي إلى تبدلات مستمرة في تفكير الطفل وسلوكه، وأنماط التفكير هذه والسلوكيات تختلف بين ثقافة وأخرى" (الموسوعة العربية، 2004م، ميلر، 2005م، ص 391، عامود، 2001م، ج1، ص 407).

إن الأم الواعية هي التي ترافق ابنها ما أمكن في الزيارات الاجتماعية، والتسوق، والسفر، وتكون رفيقه في مشكلاته وأفراحه وجميع الأنشطة التي تجعل الصداقة بينهما بوابة للتعلم واكتساب ملامح الشخصية السوية. ولعل النمو عبر اللعب من أفضل الأنشطة لا سيما في مرحلة الطفولة.

افهمي طبيعة المرحلة العمرية لابنك أولاً

يمر الإنسان بمجموعة من التغيرات الفسيولوجية والاجتماعية تؤثر على سلوكه وعندما تدرّك الأم هذه التغيرات يمكنها قطع أشواط كبيرة نحو توثيق علاقاتها مع ابنها. هناك عدة عوامل تؤثر في نمو الطفل حيث أن النمو الجسدي للطفل مرتبط بالمؤشرات التالية: المؤثرات الوراثية، والمؤشرات الغذائية حيث يمكن أن يتسبب النقص في الفيتامينات والبروتينات في تأخير النمو، والمؤشرات النفسية والاجتماعية لها وزنها الكبير أيضاً، وتلعب المؤشرات المرتبطة بالأمراض دورها خطيراً في إعاقة النمو (لاروس، 2006م، ص 1104). يعتقد الأطباء أن العلاقة العاطفية السليمة بين الأم والطفل تزيد من قوة المناعة الجسمية ومقاومة عدوى الأمراض على نحو أفضل.

الوالدات رحيمات ولهذا فهن أقرب من عقل وقلب الطفل وهن أكثر تضحية للحفاظ على الصغار. عن أنس بن مالك جاءت امرأة إلى عائشة رضي الله عنها، فأعطتها عائشة ثلاث تمرات، فأعطت كل صبي لها تمرة، وأمسكت لنفسها تمرة، فأكل الصبيان التمرتين ونظرا إلى أمهما، فعمدت إلى التمرة فشقتها فأعطت كل صبي نصف تمرة، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته عائشة فقال: "وما يعجبك من ذلك؟ لقد رحمها الله برحمته صبيها" (الأدب المفرد للبخاري، ص 44). الرحمة سر قوة الأم. قال داود عليه السلام كن لليتيم كالأب الرحيم، واعلم أنك كما تزرع كذلك تحصد (الأدب المفرد للبخاري، ص 58).

إن علاقة الأم بالطفل في المرحلة المبكرة (السنين الأولى والثانية) مهمة جدا حيث "يتميّز الطفل في هذه المرحلة، بكثرة الطلبات (الجسدية والنفسية) والإلحاح على تلبيةها، حتى أنه يضع أمه أحيانا، في مواقف حرجة بسبب سلوكياته المزعجة (البكاء، الصراخ، التمرد على الأرض..). إذا لم تؤمن له مطالبه كلها. وهنا يبرز دور الأم، البناء والإيجابي، في كيفية التعامل مع هذه المطالب، بعد التفريق بين ما هو ضروري منها وغير ضروري، بحيث لا تكون سياسة الاستجابة لمطالب الطفل، الطبيعية والخاصة جداً، نوعاً من التربية على تعود (الطلب الذاتي) فحسب، وإنما تكون أيضاً، نوعاً من الطلب والتكيف الذاتيين (الشماس، 2004م). في هذه المرحلة المبكرة في حياة الطفل يتواصل الابن مع والدته بقنوات شتى عبر حاسة السمع والبصر واللمس والتذوق وحتى الرائحة. تتطور العمليات الذهنية لدى الطفل إلى أن يدرك المحسوسات في المرحلة الابتدائية ثم تنضج القوى العقلية في مرحلة المراهقة وتدخل عهداً جديداً يتصل بالتجريد والتفكير الأكثر تعقيداً.

وفي العموم تتسم الطبيعة النمائية للطفل بالنمو البطيء، قال سيد قطب في تفسيره "والطفل الإنساني هو أطول الأحياء طفولة. تمتد طفولته أكثر من أي طفل آخر للأحياء الأخرى. ذلك أن مرحلة الطفولة هي فترة إعداد وتهيؤ وتدريب للدور المطلوب من كل حي باقي حياته. ولما كانت وظيفة

الإنسان هي أكبر وظيفة، ودوره في الأرض هو أضخم دور.. امتدت طفولته فترة أطول، ليحسن إعداده وتدريبه للمستقبل".

وتؤكد التربية الحديثة على أهمية مرحلة الطفولة المبكرة والاهتمام بقدرات الطفل في كل مرحلة يمر بها. منذ اللحظة الأولى وبمجرد دخول الطفل إلى عالمنا فإنه يتعرف على من حوله ويحاول أن يتمتع بالحياة من خلال اللعب الذي قد يكون فرديا ثم في سن الخامسة يزداد شغفه إلى اللعب الجماعي والتواصل الاجتماعي وتتطور لغة الطفل على نحو سريع بحسب التجارب الاجتماعية والبيئة الداعمة للتعلم.

يشدد بندورا Bandura Alfred في نظريته المتصلة بالتعلم الاجتماعي (The Social Learning Theory) على أن الصغير يتعلم من محيطه السلوك السلمي أو العدواني على حسب ما يراه وينطبع في ذهنه (Smith, and Others, 2003, 472) وقدم بندورا فكرته مع شواهد واقعية وتجارب متعددة حظيت باهتمام المربين. يكتسب الطفل صفات المبادرة والمثابرة والتعاون مع زيادة في الطول والوزن وقدرة أكبر على الحركة المتزنة وقدر من الاستقلالية لا سيما في سن السادسة، إلى أن يقترب من مرحلة المراهقة حيث يكون التركيز على الذات، وتكوين الهوية، وفهم أعمق لمجمل الدوائر الاجتماعية، والأوساط الشعبية المحيطة به.

فسيولوجية المراهقة وانعكاساتها

تلعب الخصائص الجنسية (الذكورة والأنوثة) والفروق في السن، والثقافة العامة، والاختلافات الفردية دورا بارزا في التعامل الصحي مع الأطفال. يمر الأولاد في مرحلة انتقاله من عالم الطفولة إلى مرحلة المراهقة بتغيرات فسيولوجية واجتماعية عديدة منها:

1. في سن 14 سنة تقريبا يصل الولد إلى سن البلوغ وقد يتأخر هذا نظرا للفروق الفردية. سنّ البلوغ هو سنّ الإدراك ونُضج الأعضاء التناسليّة.
2. زيادة حجم الأعضاء التناسلية.
3. نمو الشعر تحت الإبطين وحول العانة.
4. تغير الصوت حيث يصبح خشنا.
5. ظهور شعر في منطقة الذقن وأسفله.
6. نمو الجسد بصورة سريعة نسبيا (العرض والطول).
7. يزداد عرض الكتفين.
8. يكتسب الصوت عمقا ملحوظا، يصبح أجشا (باركر، 2009م، ص 51).

9. يميل المراهق للعزلة لبعض الوقت.
10. تزداد عنده أحلام اليقظة والطموحات العالية والتفكير المستقبلي.
11. يبدأ بتوسيع دائرة الصداقات.
12. ظهور حب الشباب.
13. يعتني بملبسه ومظهره الخارجي بصورة أكبر من السابق. البعد عن الأناقة دلالة على نقص الرعاية الأسرية وعدم استيعاب المراهق لمتطلبات المرحلة الجديدة.
14. يحاول المراهق الحصول على أكبر قدر من الحرية والاستقلالية عن الوالدين وقد يستخدم حريته بصورة خاطئة لقلة الخبرة، ومحدودية التجارب، وسوء المتابعة الأسرية. قال الحكماء "كل شيء يحتاج إلى العقل، والعقل يحتاج إلى التجارب".
15. يرفض الأسلوب القديم في التعامل معه كطفل صغير.
16. يميل نحو التفكير إلى الجنس الآخر.
17. يتطرق لآراء مجتمعية ودينية بقدر كبير من الجرأة وأحياناً قد يصل الأمر إلى حد التطرف إذا لم يجد التوجيه الصحيح والحوار الراقي.
18. قد يستخدم عبارات المبالغة والتضخيم في التعبير عن أفكاره وانفعالاته كي يصرف الوجوه نحوه. تؤكد الموسوعة العربية (2004م) على أن "المشكلات الانفعالية لدى الشباب ثنائية المشاعر، والتناقض الانفعالي ومشاعر الغضب والثورة والتمرد، التي قد تكون نتيجة لفترة الانتظار الطويلة في مرحلة المراهقة والشباب، أو قد تكون نتيجة التناقض في المعاملة من قبل الكبار. تتسم علاقات الشباب بأفراد الأسرة ولاسيما الأبوين بشيء من التوزع بين التبعية والانقياد والاعتماد، فهم مضطرون بحكم تبعيتهم الاقتصادية والاجتماعية ونقص خبرتهم إلى مسايرة الأسرة وطاعتها، وبين الرغبة في الاستقلال وتحقيق الذات التي تمثل أحد مطالب النمو لديهم. ومن هنا يسيطر على علاقات بعض الشباب بأسرهم قدر كبير من التوتر والصراع، أو قد تتصف العلاقة مع الأسرة بقدر كبير من السطحية. وهنا تضطلع جماعات الأقران بدور مهم في حياة الشاب إذ تكون البديل لتأثير الأسرة، وتصبح مصدراً للأمن النفسي والطمأنينة والارتياح، وتعبيراً عن الهوية والذات. وتضاف إلى المشكلات الأسرية بعض الحالات التي يعانها الشاب كوجود الجو المشحون في الأسرة الناجم عن الخلافات وعدم التفاهم بين الأبوين، أو التصدع الأسري الناجم عن الانفصال أو الطلاق أو موت أحدهم أو عدم وجود القدوة الحسنة في الأسرة" (باختصار).

إن دور الأم هنا هو استيعاب خصائص مرحلة المراهقة وتقلباتها واهتزازاتها وتوفير بيئة ممكنة للاندماج الاجتماعي يستوعبها المراهق ويتكيف معها. "عدم التكيف أو التهميش يأخذ شكل حرمان

من الطفولة ومن مباحجها، من التربية والتمدرس أو حرمان من أبسط مقومات الحياة الكريمة. ثم يأخذ عدم التكيف عدة أبعاد تختلف بحسب السن والجنس. إذ قد يترجم إلى عزوف عن الدراسة أو رسوب، أو هروب من المدرسة لينتهي الأمر في جل الحالات إلى انقطاع تام عنها؛ وقد يأخذ شكل عصيان لأوامر الأسرة أو الأشخاص المسؤولين عن الطفل، ويصل التمرد مداه عندما يوجه نحو النفس أو نحو المجتمع بكامله، في صورة تعاطٍ للمخدرات، أو عنف ضد الأطفال الآخرين، ومع التقدم في السن يتقن المراهق وسائل الانحراف، إذا لم يجد منقذاً في أي مرحلة من المراحل الصعبة التي يجتازها" (ناجي، 2010م، باختصار).

يبدأ سن البلوغ بين 13-15 عند الولد حيث يتسارع النمو البدني وتظهر العلامات الجنسية الثانوية. تكون هذه الفترة صعبة التقبل من طرف المراهقين. تتوقف التغيرات الجسمية على هرمونات تحت سريرية ونخامية تؤدي إلى إفراز الهرمونات الجنسية لدى الذكور وتنتج الخصيتين الحيوانات المنوية وهرمونات التستوستيرون (Testosterone) (لاروس، 2006م، ص 1104).

ورد في الموسوعة الفقهية الكويتية: " لَقَدْ جَعَلَ الشَّارِعُ البُلُوغَ أَمَارَةً عَلَى تَكَامُلِ العُقْلِ؛ لِأَنَّ الإِطْلَاقَ عَلَى تَكَامُلِ العُقْلِ مُتَعَدِّزٌ، فَأَقِيمَ البُلُوغَ مَقَامَهُ. وَقَدْ اِخْتَلَفَ فِي سِنِّ البُلُوغِ: فَيَرَى بَعْضُ العُلَمَاءِ أَنَّ البُلُوغَ بِالسِّنِّ يَكُونُ بِتَمَامِ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً فَمَرِيَّةً لِلذَّكْرِ وَالْأُنْثَى... وَيَرَى الْمَالِكِيَّةُ أَنَّ البُلُوغَ يَكُونُ بِتَمَامِ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً، وَقِيلَ بِالدُّخُولِ فِيهَا، أَوْ الحُلْمِ أَيْ الإِنْزَالِ، لِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "رَفَعَ القَلَمَ عَن ثَلَاثٍ: عَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ". وَالْأُنْثَى أَسْرَعُ بُلُوغًا مِنَ العُلَامِ (ج2، ص 17، بتصرف).
مرحلة الشباب قد يغلب عليها التفكير في الشهوات لكثرة المغريات العصرية وشدة الفتن، وقوة البواعث على اتباع الهوى والانسحاق خلف اللذة ولكن التربية الحسنة تزيل المشقة وتجلب التيسير وتقود عقل ونفس المراهق نحو بر الأمان بعون الله سبحانه ثم بمتابعة الأم وصحبتها لابنها صحبة رشيدة.

قواعد أسرية أساسية

لقد انشغلت الأم بالعمل خارج المنزل، وأغفلت بعض مهامها الأسرية، وغدت مرهقة في زحمة أعباء الحياة المدنية المليئة بالارتباطات والمتطلبات. وغني عن البيان أن مصلحة البيت مقدمة على مصلحة العمل وإذا حصل التوفيق بين البيت والعمل فهذا عين العقل. تؤكد المعطيات اليومية بأن المرأة تمتلك طاقات عظيمة لأداء مهامها على أكمل وجه إذا آمنت برسالتها الأسرية والمجتمعية وتسلمت بالعلم، والإيمان والعمل الجاد. إن العلاقة بين البيت والعمل علاقة تعاضد وتكامل لا تضاد وتفاضل.
لا بديل عن أنفاس الأم في تهذيب الأبناء ونهضة الأمم ونضج المجتمعات. قال محمد فتح الله كولن "إن أرواح الأطفال أصفى مرآة، وأسرع آلة تصوير. والمدرسة الأولى لهم هي بيوتهم، وأول المرين لهم هم أمهاتهم. لذا فإن إعداد الأمهات كمربيات صالحات أساس مهم من أسس بقاء الأمة. لما كانت

مرحلة عمر الطفل منذ الولادة وحتى السنة الخامسة أكثر المراحل التي يكون فيها اللاشعور عنده منفتحا، كان كل ما يقدم له في هذه المرحلة من أمثلة حسنة وقدوة جيدة ضرورية له وفي محلها". وقال سيد قطب في ظلالة "إن الإسلام دين أسرة. ومن ثم يقرر تبعة المؤمن في أسرته، وواجبه في بيته. والبيت المسلم هو نواة الجماعة المسلمة، وهو الخلية التي يتألف منها ومن الخلايا الأخرى ذلك الجسم الحي.. المجتمع الإسلامي.. لا بد من النساء في هذا المجتمع فهن الحارسات على النشء... ويجب الاهتمام البالغ بتكوين المسلمة لتنشئ البيت المسلم" (باختصار، تفسير سورة التحريم: 6) والمجتمع المتحضر.

قال سلمان العودة "إن مصادرة شخصية الولد من شأنها أن تصنع عنده عقوقاً لأنه يريد أن يحقق ذاته ولو غضب والداه، أو تصنع عنده ضياعاً وضعفاً في الشخصية لأنه قرر أن يستسلم لإرادة والديه مع عدم رضاه داخلياً، مما يجعله مشتتاً مرتبكاً، وهنا تنشأ وتكبر العقْد النفسية وحالات الاكتئاب والقلق، ثم النفاق والتصنع والازدواجية. أعطوا أولادكم المفاتيح! أعطوهم مفاتيح المسؤولية فلا تصادروا شخصياتهم، وامنحوهم حق التدريب والعمل والمحاولة والخطأ أمام أعينكم وفي حياتكم حتى تطمئنوا قبل الرحيل إلى أن الأمور ستكون بخير، دعهم يتولون مناصبهم ووظائفهم التي تقتضي سنة الحياة أن تقول إليهم حتى لا يختلفوا بعد موتكم اختلافاً يضر بهم وبالتراث والميراث الذي يصير إليهم، ويضر بالقرابة والجيران والصدقات. أعطوهم مفاتيح البناء بالاعتماد على النفس والثقة بها، والصدق والإخلاص، فلا شيء يربي على الكذب والمراوغة مثل التربية القاسية. الوالد الذي يسبُّ ولده، ويُعَيِّرُه بالإخفاق، ويتوَعَّدُه بالانحراف، ويهدِّده بمقبلات الأيام، يرسم مستقبله، ويدفعه إليه دفْعاً دون وعي" (بتصرف).

تتطلب مرحلة الطفولة والمراهقة والشباب إلى سياسات جديدة في التعامل مع الأبناء بحيث تستجيب لمتطلبات النمائية للناشئة من جهة، وتتماشى مع قيم الأسرة من جهة أخرى. ثمة آداب على الأم أن تحرص على أن يتحلى بها الناشئة لأنها قواعد أسرية أساسية (Hayman, 2008, p. 110) تضبط السلوكيات وتضمن حسن العلاقة بين الأم وابنها لا سيما في مرحلتها الطفولة والمراهقة. وينبغي على الأم كقدوة الالتزام بها أولاً من باب الإرشاد بالعمل قبل القول. فيما يلي أبرز القواعد الأسرية الأساسية:

1. إشاعة الحب والمودة. "وَالنِّسَاءُ مُقَدَّمَاتٌ فِي بَابِ الحُضَانَةِ عَلَى الرِّجَالِ لِأَنَّهِنَّ أَصْبَرُ عَلَى الصَّبِّينِ وَأَشَدُّ شَفَقَةً وَرَأْفَةً" (الموسوعة الفقهية، ج7، ص 93).

2. الالتزام بمواعيد الصلاة لأن التفريط فيها نقص في التربية السليمة. قال تعالى {إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا} (النساء: 103). وفي الحديث "مَنْ فَاتَتْهُ صَلَاةُ العَصْرِ فَكَأَنَّمَا وُتِرَ أَهْلُهُ وَمَالُهُ" (رواه النسائي). وَعَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: "رَكَعَتَا الفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا" (رواه مسلم).

3. المحافظة على نظافة البيت مسئولية الجميع (ليس وظيفة الشغالة، أو الأم).

4. وضع الملابس والأحذية والحاجيات الشخصية في مكانها الصحيح.
5. الأكل على مائدة الطعام وإعادة الأطباق إلى المطبخ.
6. العناية بالنباتات المنزلية بانتظام.
7. القيام بالأعمال المنزلية الروتينية المطلوبة من غير نقاش وقيل وقال.
8. يمنع معنا باتا التفاهم عبر الصراخ والشتم والعبارات الحادة.
9. الحرص على استخدام الكلمات الذهبية "لو سمحت" - "شكرا" - "أحسنت" هذه العبارات الحضارية على صغرها كفيلة بزرع الحب الأسري بل والمجتمعي وتعكس رقي الألفاظ، وسمو المشاعر، ونقاء الضمير، وكرم النفس.
10. وضع يوم لاجتماع الأسرة.
11. إذا أردت من شخص أن يسمع لك، فالأولى أن تستمع إليه.
12. ساعدي جميع من حولك ليكونوا أفضل واتركي النقد القاسي.
13. الخروج مع أفراد الأسرة مرة واحدة على الأقل في الشهر.
14. النوم في الوقت المتفق عليه.
15. قضاء الإجازة الأسبوعية بطريقة مقبولة.
16. ترك المزاح الثقيل والاستهزاء.
17. توزيع المصروف اليومي مرة كل أسبوع أو كل شهر حسب ما يتم الاتفاق عليه.
18. عندما يخرج المراهق يفتح جهاز هاتفه.
19. عند الخروج مع الأصدقاء لا بد من تحديد موعد الرجوع للمنزل والالتزام بالموعد والوعد.
20. تقليص أوقات مشاهدة التلفاز واللعب بالألعاب الإلكترونية.
21. المحافظة على سلوكيات الأمن والسلامة والصحة داخل وخارج المنزل لأنها من المكونات الجوهرية للحياة الكريمة.
22. على الأم حسن إدارة الأموال لقوله تعالى { وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ } (الأنعام: 152). قال المفسرون "ولا تتصرفوا في أموال الأطفال الذين مات آباؤهم، وصاروا في كفالتكم، إلا بالطريقة التي هي أحسن لهم، وهي التثمير والتنمية، حتى يبلغ الطفل اليتيم سنَّ البلوغ، وحسن التصرف في المال ". "وإذا بذلتم جهدكم فلا حرج عليكم فيما قد يكون من نقص، لا نكلف نفسا إلا وسعها".
23. الثواب والعقاب من أركان التربية وتقويم السلوك ، والعقاب يعني الحرمان من الامتيازات.

24. غض الطرف عن الهفوات الخفيفة من مقومات العلاقات الأسرية الدافئة. التربية بلا تغافل لا تحقق غاياتها. التغافل تظاهر بالغفلة والسَّهو وَقَلَّةُ التَّيَقُّظِ تجاه بعض العثرات لأغراض تربوية. وقد بما قالوا "العاقِلُ فَطِنٌ مُتَغافلٌ". "العَقْلُ مِكيالٌ ثُلْثُهُ فِطْنَةٌ وَثُلْثَاهُ تَغافلٌ". "التغافل عن ذنوب الناس وعيوبهم من أخلاق الكرام".
25. زجر الولد من التصرف مثل النساء وترغيبه بأخلاق الرجال. التشبه بالجنس الآخر طامة مجتمعية لا بد من الحزم والحكمة في التصدي لها. نشأ ابن حزم العالم الأندلسي الشهير في بيئة مليئة بالنساء من حوله وأخذ وتعلم العلوم منهن وجالس النساء لكن التربية الحسنة عصمته من التشبه بهن في حركاتهن وسكناتهن وهذا أمر ممكن وميسور بعون الله.

نظرة الطفل والمراهق للصدقة

تتفق الدراسات الحديثة مع آراء بياجيه، التي تشير إلى أن الأطفال يشعرون بقدر أكبر من القوة في علاقاتهم مع أقرانهم بالمقارنة بعلاقاتهم مع الراشدين، وهم يشعرون أن علاقاتهم مع أصدقائهم متساوية مع مقدار ما تحمله من مودة مع علاقاتهم بأمهاتهم (أبو سريع، 1993م، ص 68).

مراحل ارتقاء تصورات الأطفال حول الصداقة¹

المرحلة	المدى العمر	خصائص الصداقة كما يراها الأطفال	مستوى فهم منظور الآخرين
صفر	3-7 سنوات	الرفق المؤقت	متمركز حول الذات
1	4-9 سنوات	المساعدة في اتجاه واحد	ذاتي / متمايز
2	6-12 سنة	التعاون في سبيل المصلحة الذاتية	متبادل/ يعكس الذات
3	9-15 سنة	الفهم الحميم المتبادل	متبادل
4	15 سنة فأكثر	الاستقلال/ الاعتمادية المتبادلة	عميق/ اجتماعي

لا تحتوي المناهج الدراسية على دروس نظامية في الصداقة مما يسبب غفلة بعض الناشئة عن تعلم مهارة حياتية مهمة. يرى أرسطو إن الأمانى الطيبة المتبادلة علامة على الصداقة ويذهب إلى أن فكرة الصداقة تتغير مع نمو النشء، وأن سبب الصداقة بين الصغار هو المتعة ومفهوم المتعة يتغير مع نضج الصغار دائما على أساس أن المتعة خير لكن فكرة الخير تتغير أيضا. إن الأصدقاء الحق يجعلوننا أناسا أفضل. وهكذا فإن الحافز لصدقات المراهقين هو الرغبة في المتعة. وبدرجة كبيرة تلعب المتعة دورا في جميع الصداقات وقد نختلف في كيفية تعريفنا للمتعة (ينجز، 2009م، ص 249-256).

¹ انظر أبو سريع (1993م، ص 129).

طرح علماء في مجال علم الاجتماع السؤال التالي على تلاميذ في الصفين الابتدائي الأول والثاني: ما معنى صديق؟ فأجابوا أن الصديق هو شخص نثق به 96% من الصبيان، 90% من البنات، ولا يفش عن الأسرار 84% من الصبيان، 76% من البنات، شخص نلعب معه، 66% من الصبيان، 63% من البنات وهو أيضا الأقوى وشخص نحاول "أن نشبهه". الصديق المفضل يمثل بالنسبة للولد مساعدا رائعا على مواجهة العالم الخارجي (مثلا في النادي الرياضي أو أثناء العطلة)، كما يساعده على تحمل المشاكل العائلية (انفصال، طلاق). لهذا السبب يلتصق الولد به (كاركان، 2010م، ص 106-107).

ولقد لاحظ علماء النفس ارتقاء مفهوم الصداقة في مرحلة الطفولة وحتى المراهقة وقد افترض سوليفان أن الارتقاء الاجتماعي يمضي على شكل عدة مراحل متتالية تتفاوت خلالها حاجة الأطفال إلى العلاقات الاجتماعية وهي:

أولاً: مرحلة الطفولة المبكرة (2-5 سنوات) وفيها تنحصر العلاقات الاجتماعية داخل اطار الأسرة. وخلالها ينهض الوالدان بدور مهم في تنمية شعور الطفل بذاته من خلال عملية التنشئة الاجتماعية وبتوظيف أساليب مختلفة في مقدمتها التدعيم الاجتماعي.

ثانياً: مرحلة الطفولة المتوسطة: (من 4-9 سنوات) وخلالها يرغب الطفل برغبة في اللعب مع رفيق له.

ثالثاً: مرحلة ما قبل المراهقة (8-11 سنة) ويطلق عليها مرحلة الصداقة الوثيقة وتتميز بحاجة الطفل إلى تكوين علاقات متبادلة تفيض بالمودة.

رابعاً: مرحلة المراهقة ينتبه المراهق إلى للفروق بينه وبين الآخرين وينتقد نفسه وينتقد علاقاته بالآخرين وتزيد درجة حساسيته الاجتماعية ومن مظاهرها ارتقاء التصورات الأخلاقية (أبو سريع، 1993م، ص 92-96).

"أجرت دراسة على مدار أربع سنوات على عينة من الأبناء قوامها 500 شاب تتراوح أعمارهم بين 19 - 24 سنة... ومن النتائج التي دلت عليها الدراسة عند الإجابة على السؤال التالي: من هو الشخص المقرب إليك بمعنى المؤثر في حياتك؟ وكنا نفترض أن نسمع الإجابة عن هذا السؤال أحد المشاهير أو أحد أفراد العائلة أو من الأهل.. كل الآباء والأمهات يتمنون أن تكون الإجابة عن هذا السؤال هي أحدهما.. ولكن كانت الإجابات كما يلي:

25% قالوا الأب

12% قالوا الأم

8% قالوا الأب والأم معا

52% قالوا صديقي أو صاحبي أو ابن عمي أو ابن خالي أو لا أحد.
3% قالوا صاحبي بكل صراحة مقززة" (الثويني، 2004م، ص10).

تتنوع مستويات الصداقة من صداقة عادية إلى صداقة متميزة وتمر بمراحل ازدهار وبمراحل انحسار كما أن بعض الصداقات ذات أثر على اختيارات المراهق الكبرى وأخرى لا تتعدى أثرها الاختيارات الحياتية الصغرى. ما أهم صفات الصديق بالنسبة للمراهق؟ فيما يلي مجموعة صفات كلما زاد حظ الصديق منها كانت عرى الصداقة أوثق وأدوم:

1. الثقة
2. يفرح عندما يحقق صاحبه الإنجاز (ليس غيورا أو سلبيا).
3. الأخلاق (يتحمل المسؤولية-مخلص-صادق-أمين-طيب-عطوف-يحترم نفسه-التواضع). قال الشاعر وهو يصف التواضع:
فاخفض جناحك للأنام تفز بهم إن التواضع شـيـمة الحكماء
لو أعجب القمر المنير بنفسه لرأيتـه يهـوي إلى الغـبراء

4. علاقاته إيجابية مع الآخرين.
5. جاد في دراسته وعمله.
6. يعرف كيف يضع خطته وأهدافه.
7. لديه رؤية إيجابية للمستقبل.
8. يصادق أنواعا كثيرة ومختلفة من الناس، ولا ينحاز أو يتحامل.
9. يتجنب المواقف الخطرة.
10. يحب المجازفات المحسوبة والإيجابية (لا المتهوره).
11. يدعم المجتمع ويخدم الآخرين.
12. له تأثير إيجابي على الآخرين (اسبلانند، 2006م، ص 65).
13. المحافظة على أداء الفرائض الدينية.

من الصعب التحلي بجميع الخصال السابقة لأن ذلك الكمال محال لكن كلما توفرت تلك الصفات في شخصية الأم كانت صداقتها للطفل وللمراهق أنفع وأقوم قليلا. تنطوي العلاقات الاجتماعية على قسط كبير من الالتفات إلى الذات والنهوض نحو الارتقاء بها أثناء سعيها للاتصال بالآخرين كي يكون تأثيرنا إيجابيا وبصمتنا في حياة الآخرين بصمة صالحة. ليس الهدف من التقرب إلى أولادنا قضاء أوقات ممتعة فحسب بل المنشود هو مشاركتهم أفراحهم وأحزانهم والإنصات لهم بحب،

وتحصينهم والارتقاء بهم فكريا وسلوكيا وروحا وإلا ستعرض علاقاتنا الأسرية للعديد من التناقضات الأليمة، والمفارقات السلبية. إن الهدف من صداقتنا ليس إبراز أنفسنا والإسهاب في بيان ما نقدمه لأبنائنا ولكن الهدف إشعارهم بأنهم هم محط اهتمامنا مما يستلزم إتاحة الفرصة لهم للحديث، والاستفسار والاستنكار والاستكشاف والمشاركة العاطفية. إن أسوء أمر يمكن أن نقوم به في حواراتنا مع المراهقين الاستناد إلى اللغة الفوقية وممارسة السلطة المطلقة في تقييم الأفكار والأفعال. النقد المباشر يهدد الحوار المثمر، ويضعف التواصل الإيجابي. تبذل المرأة جُهداً طاقَتهَا لِتُضَمِّنَ عَيْشاً كَرِيماً لِأَبْنَائِهَا فتقدم عشرات الساعات في الأسبوع الواحد لتحضير طعامهم وتنظيف مكائهم ولكن كم ساعة شهريا تجلس مع كل واحد منهم على حدة وفي جلسات حوارية في أماكن هادئة (على شاطئ البحر، في مطعم) بعيدا عن المشتتات الحياتية (التلفاز والهاتف والحاسب الآلي)؟ إن انشغال الأم في تلبية الحاجيات اليومية المادية وتوفيرها للابن ليست ذريعة للتفريط في إشباع حاجاته النفسية والاجتماعية ومتابعة مشاعره ومتابعه في مقامه وتنقله. ينظر الأطفال واليافعون إلى المتطلبات السابقة نظرة جادة تحسم خياراتهم في درجة الصحة مع أقاربهم.

الصداقة حاجة نفسية

العلاقات الأسرية غاية في الأهمية فهي تساهم في إشباع الفرد كي يكون شخصية متزنة وإيجابية. يحتاج الفرد إلى حاجات كثيرة على النحو الآتي: الحاجة إلى الحب- الحاجة إلى علاقات الأمان مع السلطة- الحاجة إلى موافقة الأقران- الحاجة إلى الاستقلال الذاتي- الحاجة إلى الكفاية وتقدير الذات. هذه الحاجات يمكن للأُم على وجه الخصوص أن تضعها نصب عينها في سعيها للمساهمة في إشباعها عبر توثيق صلاتها مع ابنها.

ومن المنظور النفسي "تعدّ الحاجات على اختلافها مفاتيح لفهم السلوك الإنساني وتوجيهه وضبطه والتحكم به، والتنبؤ بما سيكون عليه في المستقبل. ولأهمية الحاجات، فإن الطفل الذي تلقى حاجاته الجسمية أو النفسية أو الاجتماعية حرماناً مفرطاً أو نقصاً شديداً في الإشباع لا ينمو ولا يسلك بطريقة سوية، وأن هناك احتمالاً عالياً أن يصبح هذا الطفل في البيت أو المدرسة أو المجتمع إنساناً مشكلاً سواء في طفولته أو في مراهقته وحتى في رشده. ولأن الحاجات محركات للسلوك فإن الإنسان يسعى إلى الطعام كلما جاع، وإلى النوم كلما تعب وإلى الاتصال بالآخرين كلما شعر بالوحدة. ويستدل على وجود حاجة معينة لدى الفرد من خلال السلوك الباحث عن هدف محدد في العالم الخارجي، وخاصة عند إعاقة هذا السلوك أو بعض جوانبه أو عند إحباطه، وعندما نلاحظ مقاومة الفرد لهذه العوامل المعيقة أو المحبطة ومثابرتة في سبيل تحقيق الهدف وإشباع الحاجة. وعليه فإن تجاهل الحاجات

وعدم إشباعها يعرض حياة الفرد للخطر ويضر بصحته الجسدية والنفسية. ونظراً لحركية حياة الإنسان، فإن حاجاته تتغير وفق مراحل حياته ومواقفها (الموسوعة العربية، 2004م، مدخل: حاجات، باختصار). ويمكن الإشارة عموماً إلى ستة وظائف للصدقة في النقاط الآتية: الشعور بالآخر والمشاركة الوجدانية، لإفصاح عن الذات، تلقي المساعدة والعون، الاكتساب والتنمية، التقويم والتوجيه، المرح والترفيه (أبو سريع 1993م، ص 181-182).

قال فرانسيس بيكون "أسوأ أنواع الوحدة أن يكون المرء محروماً من الصداقة الحقة".

غياب الأب

يغيب الوالد عن مسرح الحياة لأسباب عدة (وفاة-طلاق-علاج في الخارج-دراسة-سجن-هجرة-انفصال-الاحتجاز) ويلجأ الطفل إلى كهف حنان الأم ولسان حالها يقول كما قال أبو القاسم الشابي عن إخوانه الأيتام:

فَقَدُوا الأبَّ الحَانِي، فَكُنْتُ لُصُغْفِهِمْ كَهْفاً يَصُدُّ عَوَائِلَ الأَيَامِ

ولكن الله يهب الناس الخير في أحلك الظروف. قال أحمد شوقي :

نِعَمَ اليتِيمُ بَدَتْ مَحَايِلُ فضلهِ واليُتَمُّ رزقٌ بعضُهُه وذَكَاءُ

"معنى الوالدية الوحيدة: تتمثل الوالدية الوحيدة أو المنفردة في الأم التي تقوم على تربية الأبناء دون وجود الأب. أو الأب الذي يقوم على تربية الأبناء دون وجود الأم. وبهذا فإن الأسرة وحيدة الوالدية هي تلك الأسرة التي يقوم على شؤونها أحد الوالدين في ظل غياب الوالد الآخر بصفة دائمة أو شبه دائمة لسبب من الأسباب مثل الوفاة أو الطلاق أو السفر والإقامة في بلد آخر أو المرض للأسرة بوفاة الأب تصبح ذات والدية وحيدة كذلك بوفاة الأم، والأسرة بالطلاق تصبح ذات والدية وحيدة حيث يعيش الأبناء مع الأب أو مع الأم. والأسرة التي تركها الأب ليعمل لفترة طويلة أو يقيم في بلد آخر، هي أيضاً من الأسر ذات الوالدية الوحيدة وهكذا" (الرشيدى، والخليفى، 2008م، ص 519، باختصار). هناك ما لا يقل عن عشرة ملايين أسرة يقودها أحد الوالدين في أمريكا لوحدها. وجميع دول العالم فيها أعداد غير قليلة تتعايش في أسرة يغيب فيها الوالد أو الوالدة وهذه الأسرة متنوعة في خلفياتها التعليمية والاقتصادية والاجتماعية (Hayman, 2008, p. 24). 28% من أطفال بريطانيا يعانون من آثار التفكك العائلي، ولهذا تتزايد الكتابات التربوية عالمياً لتقديم أفضل وسائل التربية في مثل هذه الظروف (Evans, 2009) لتقدم الدلائل تلو الدلائل أن ثمة علاجات تربوية للمشكلات النفسية

والاجتماعية... والمؤمن يؤمن أن كل بلاء له شفاء وأنه ليس الوحيد الذي يعاني ويكابد ويجاهد بل هناك من يهتم بمثل هذه التحديات ويمد يد المعونة لاستغلالها واستثمار حرارة التحديات كوقود لطاقة التجديد والتفوق في حياتنا. إنها الشدائد التي تكشف عن شجاعة النفوس، وتدفع الهمم نحو المعالي.

عندما يفقد أو يخسر أو يفترق الإنسان عن شريك العمر يشهد فراغا كبيرا في حياته مما قد يسبب فقد التوازن إذا لم يتم شغل الفراغ برسم مسار جديد، وطى الصفحات المفتوحة. تشير الدراسات الحديثة إلى أن الذي لا يرسم لنفسه مسارا جديدا عندما يتحاحه المصاعب ويصرف جهده في التفكير بالماضي والتحسر على الحاضر يخسر وقته وجهده لا محالة. قد يصل الأمر عند بعض الأشخاص إلى مراحل سيئة كأن يشعر المرء بعد فراق شريك الحياة بالندم أو بالذنب أو بالغضب حيال كل شيء حوله مما يسبب الغضب السليبي (dirty anger) كما يسميه البعض (Hayman, 2008, p. 11). الغضب السليبي يصاحبه نظرة تميل نحو العدائية تجاه البعض ويتضمن لوما غير مستحق للبعض الآخر والانسحاق خلف تجديد الأحزان الماضية. يعيق الغضب السليبي علاقاتنا مع أولادنا لأن حالتنا النفسية - لا شعوريا - تنطبع في من يعيش حولنا.

من هنا فإن خير بلسم لفراق شريك الحياة وغيابه - طوعا أو كرها - هو التخلص من الترسبات السلبية وإسقاطها المستقبلية والعمل بالخطوات الآتية:

1. الاستعانة بالله سبحانه والتوكل عليه. قال تعالى { وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ } إنَّ اللهَ بِالْعِزِّ قَدْرٌ فَجَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (سورة الطلاق: 3). ورد في التفسير الميسر "ومن يتوكل على الله فهو كافي ما أهمه في جميع أموره. إن الله بالغ أمره، لا يفوته شيء، ولا يعجزه مطلوب، قد جعل الله لكل شيء أجلا ينتهي إليه، وتقديرا لا يجاوزه".

2. الثقة بالنفس وتقدير الذات. الإيمان بقدراتك التربوية كأمر ضروري. لقد أدرك علماءنا أهمية رعاية الطفل وضرورة تعاون أفراد الأسرة في أداء هذه الغاية السامية مع تقديم وتقدير دور الأم في التربية. قال ابن القيم في زاد المعاد "ولما كان النساءُ أعرَفَ بالتربية، وأقدرَ عليها، وأصبرَ وأرأفَ وأفرغ لها، لذلك قُدمتِ الأم فيها على الأب... فتتقدِّمُ الأم في الحضانة من محاسن الشريعة والاحتياط للأطفال... لكون النساء أقوم بمقاصد الحضانة والتربية من الذكور، فيكون تقديمها لأجل الأنوثة" (باختصار).

3. التوقف فورا عن التفكير في الماضي وتخفيف منابعه من جهة، وتشمير الساعد لبناء الحاضر والمستقبل من جهة أخرى. الأسى على الماضي ضياع للحاضر، والحسرات والزفريات لا تسمن ولا تغني من جوع.

4. كلما وسوس الشيطان وذكرك بجراح الأمل، وأحزان الماضي اذكري الله ليرتد شره، ويندحر خطره، ويزداد إيمانك، وينشرح صدرك، وترين الحق أبلج والباطل لجلج. قال تعالى { إِنَّ الَّذِينَ

اتَّقُوا إِذَا مَسَّهُمْ طَآئِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ} (الأعراف: 201). هذا الحيلة - ذكر الله بقلب متفائل - خير وسيلة للدفاع عن النفس من هجمات الشيطان الماكر لتعكير الخاطر. يجب صد هجمات هذه الوسواس بروح مفعمة ببرد اليقين، وبشاشة الإيمان، وذكر الرحمن كي نشعر بلذة الراحة النفسية التي أخبر عنها المولى {الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} (الرعد: 28). عارض الوسواس سيتقطع ثم يتوقف بهذه الطريقة القرآنية وهي بحاجة إلى مداومة عليها ويقين بفاعليتها، وكل دواء يتطلب المحافظة على تناوله والتقييد بشروطه. إن الوسواس تستعر منذ الصباح الباكر في الصدر لتصرف النفس عن فعل الخير، فعلينا جميعا دفع الوسواس بالذكر والدعاء والتفكير الموضوعي من أجل تحرير النفس من سجن الشعور السلبي.

6. كتابة رؤية جديدة (رسم المسار) ووضع أهداف طموحة ماذا أريد لنفسي وكيف أطورها وأسعدها أولا ثم كيف أقود سفينة بيتي في غياب الأب. إن فاقد الشيء لا يعطيه فلا بد من التمتع بصحة نفسية وجسدية وإيمانية وثقافية جيدة لقيادة سفينة الحياة. نعم اكتبي بعض الأهداف وطورها مع الوقت المهم أن الكتابة طريقة يعز نظيرها في ترتيب أولوياتنا، وشحن نفوسنا، وشحن عقولنا. لا يمكن للأمم أن تصبح مصدر إشعاع وقلبها لا يشع بالأمل والتفاؤل والنور والبسمة فالسخط لا يكون مدخلا للسعادة. العاجز عن إسعاد نفسه سوف يعجز لا محالة عن المساهمة في إسعاد غيره إسعادا حقيقيا. مهما كان حماسنا وإخلاصنا فإن الفشل يسحب أرواحنا للأسفل إن لم نتخلص منه ومن تبعاته. وعليه فإن تحرير النفس من أغلال الهموم مقدم على تحرير الناس منها كما هو الحال في ركوب الطائرة نتعلم أن نسعف أنفسنا أولا في حال الطوارئ لنستطيع أن نسعف أطفالنا. البداية الصحية في تصفية القلب وتحليلته وتجليته ثم نجد الثمار في نفوس أولادنا أحب الناس إلينا لاحقا.

7. التسامح - لا الجزع والسخط - بوابة لعلاج النفس وشفائها وإغنائها بعد الطلاق. إن الذي يتجاوز عن أخطاء الآخرين يتجاوز الله عنه وييسر أمر استقامته، ويأنس بالحياة وينعم بها. {وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} (النور: 22). الصفح الجميل يحميننا من العقد النفسية، ويعتقنا من أصفاد الأحقاد والكروب ويطفئ نار الانتقام بل إن مفعول التسامح أكيد كأنه السحر الحلال يحل مشاكلنا ويحيل ليلها نهارا مشرقا. ليس من طريق إلى روضة السعادة والفلاح مثل ترويض النفس على العفو والتسامح. من كان من الحلم والأناة والوفاء والصفح بمحل لا يليق له إلا حياة طيبة وهكذا ستكون حياتك أيتها الأم الكريمة بهذه الروح تكونين خير صديق لابنك وإلا فإن مسحة السخط أو الحزن ستنتقل إليه، وتنعكس على روحه فتزرع - من غير قصد - في شخصية الأبناء القلق والاضطراب والسلبية والخوف من الغد. التسامح ثمرة للحلم والحليم هو الإنسان الذي لا يستغزه

الغضب، ولا يطغيه الظلم، ولا يبطش إذا ملك القوة. قال الصالحون "لذة العفو أطيب من لذة التشفي، وذلك أن لذة العفو يلحقها حمد العاقبة ولذة التشفي يلحقها ذم الندم".

8. تعلمي فن تطوير العلاقات الاجتماعية عبر التعلم الذاتي؛ القراءة الحرة، الاستشارات التربوية، الاطلاع على البرامج الإعلامية الرصينة، الدورات الثقافية.

9. عليك بتوثيق العلاقة مع أهل الرأي الراجح والقول الناصح من الأقرباء والأصدقاء وأهل الفضل.

10 الاستمرار في تهذيب النفس فكلما كان إعدادنا لأنفسنا متقدما، كان عطاؤنا لأبنائنا مشمرا.

11 الشكر لله سبحانه يجعل العقل ينظر للحياة بمنظار جديد، شديد الوضوح.

12. اجلسي مع ابنك وحدثيه عن غياب الأب وأنه لا صلة له أبداً بغيابه (أنه ليس سببا للطلاق مثلاً)، وأنه مهما حدث فالكل يجبك لأنك ابنا وعلينا التواجد لمساندتك وهذا حق لك علينا.

13. افتحي باب الحوار مع ابنك ودعيه يسأل عن غياب والده (أو عن الطلاق) ولتكن إجاباتك عامة ومنطقية دون الخوض في التفاصيل وبعيدا عن التجريح. لا نستطيع أن نحمي أطفالنا من مشاعر الألم لفراق الأب لكننا نستطيع تخفيفه باللطف والإحسان. من المهم أن يفهم الطفل أو المراهق أن الكمال محال في عالم البشر بل علينا بذل الأسباب وتعجيل اليسر إذا داهمتنا الشدائد. جلسات المصارحة والتعبير السليم عن المشاعر غاية في الأهمية مع الأبناء لتأسيس علاقة متينة وكى لا تنمو الأوهام في الأذهان.

يؤكد بعض الباحثين (العمرى، 2007م) على أن إن غياب الأب لفترة طويلة أو نهائياً يؤثر على الأبناء ولكن هناك عوامل إيجابية تخفف من الآثار السلبية لغياب الأب. على الأم أن تتمالك أعصابها وتحافظ على اتزانها النفسي وتستغل قدراتها الذاتية والخارجية وتقوم بدور الأب والأم معا بقدر الاستطاعة والحاجة. كل هذا يخفف من الآثار السلبية والنفسية لغياب الأب، ولذلك يجب أن تكون الأم على قدر من الكفاءة. والمهم في الأمر أن تظل علاقة الأم بطفلها عادية ولا مانع من أن تقوم بدور الأب ولكن باعتدال ولا تنسى دورها (بتصرف).

تعلمنا تجارب الحياة أن فقدان الأب صدمة يستيقظ منها الإنسان بالإيمان، وأن التشاؤم بالحياة ضرب من الضياع والبهتان. أدرك أبو القاسم الشابي بعد وفاة والده أن الحياة رغم لفحاتها الأليمة تستحق الحياة فقال:

ما كنتُ أحسبُ بعدَ موتِكَ يا أباي
ومشاعري عَمِيَاءُ بالأحزانِ
أني سأظمأ للحياة، وأحتسبي
مِنْ نَهْرِهَا المتوهجِ النَّشوانِ

وأعوذُ للُدُنْيا بقلْبِ حَافِقِ
ولكلِّ ما في الكونِ من صُورِ المني
حتَّى تَحْرَكْتَ السُّنونَ، وأقبلتِ
فإذا أنا ما زلتِ طفلاً، مُولِعاً
وإذا التَّشَاؤمُ بالحياةِ ورفضُها
للحبِّ، والأفراحِ، والألحانِ
وغرائبِ الأهواءِ والأشجانِ
فَتَتَّ الحِياةَ بِسِحْرِها الفَتَّانِ
بتعقُّبِ الأضواءِ والألوانِ
ضربُ من البُهْتانِ والهِدَيانِ

إذا الإنسان يوماً أراد الحياة السعيدة فلا بد للأحداث أن تهادنه وتستجيب، ولا بد للصعاب أن تلين وتستسلم ويسود اليسر. يصف د. حاتم محمد آدم تجربته الذاتية حيث أن غياب والده جعل أسرته أكثر ترابطاً فيقول: "جمعنا غياب الوالد الذي كان العامل الأكبر للاعتماد على الذات وتوجيه النفس. وجمعنا حنان الوالدة الذي أمدنا بكل ينابيع القوة والنماء. وجمعنا الإصرار على التفوق والتميز والإبداع، ثم ذهب كل منا إلى أسرته الجديدة ليكمل نفس الطريق الذي بدأناه معاً" (ص 3).

المهم أن يستيقظ الإنسان من الصدمات قبل فوات الأوان حيث "لا ينفع الندم على فائت". وإلا تصيب الأم تشوهات معرفية، واضطرابات نفسية قد تنتج من الاستيقاظ المتأخر، وهدر الوقت. الإدراك الصحيح يدفعنا إلى التوقف عن الإفراط في البكاء أو الحزن أو الندم لأنه يعكس صفو حياتنا ويسهم في مد الماضي قيوده لتكبير الحاضر والمستقبل. من الأهمية بمكان أن لا يدفع الأطفال ثمن الفهم المتأخر للأمم في مواجهتها لحوادث الدهر لأن بعض الأمهات يندبن حالهن دهراً، ويعشن الأيام قهراً، ثم يكتشفن أن ذلك لا يقدم ولا يؤخر من أمرهن شيئاً.

اصبري فإن الصبر من عظام الأمور. "فليس الصبر مظهر ضعيف ولا حالة هروب من الواقع، ولا ابتعاداً عن مواجهة التحدي، بل هو مظهر قوّة في انتصار الإنسان على طبيعة الانفعال في مشاعره، ليكون البديل عن ذلك عقلانية في التفكير، واتزاناً في الخطوات، وتخطيطاً في المواقف، ليحدّد طريقه على أساس الدراسة الواعية المنفتحة على كل آفاق الحاضر والمستقبل، وليواجه التحديات الطاغية، بالخطوة الدقيقة المتوازنة الباحثة عن الوصول إلى الهدف من أقرب طريق. إنها العزيمة الثابتة القوية الصلبة التي تمنح الإنسان معنى الصلابة في شخصيته، ليوافق الحياة من هذا الموقع" (فضل الله، 2011م، تفسير سورة لقمان، باختصار).

يغيب الأب لكن رحمة الله الواسعة لا تغيب حيث يسخر الله من عباده لخدمة الأم التي تحمي أولادها وتحفظ ذاكرة التاريخ الإسلامي بقصة رائعة كيف يسخر الله أحد عباده لمساعدة أم مخلصه. هذه قصة جرت أحداثها بين عمر رضي الله عنه وخادمه واسمه أسلم.

طافَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه ليلةً بالمدينة، فإذا هو بامرأةٍ في جوفِ دارٍ لها وحولها صبِيئةٌ
يكون، وهي توقد النار تحت قِدرٍ لها، فأتاها من الباب وقال لها: يا أُمَّةَ اللهِ ممَّ بكاءُ هذه الصبية؟
فقال: من الجوع.

فقال لها: ما هذه القِدرُ؟

فقال: جعلتُ فيها ماءً أوهمهم أن فيها شيئاً وأعللهم حتى يناموا.

فجلسَ عُمَرُ رضي الله عنه يبكي لِشَفَقَتِهِ، ورحمته، ثمَّ جاء إلى دارِ الصَّدقة، وأخذَ غرارةَ [الغِرارةُ:
كيسٌ من الخيش ونحوه توضع فيه الحبوب]، وجعل فيها شيئاً من الدَّقِيقِ والشحمِ والسَّمْنِ والتَّمْرِ
والثِّيابِ، والدِّراهمِ حتى ملأَ الغرارةَ ثم قال [لصاحبه أو خادمه]: يا أسلمُ احمِلْ عَلَيَّ (أي على كتفي).
قال أسلم: يا أمير المؤمنين أنا أحمل عنك.

أجاب عمر: أنا أحمله لأني المسؤول عن الرعية في الآخرة.

قال أسلم: فحملها عمر على عنقه حتى أتى بها منزل المرأة؛ فاستؤذن له فدخل، فأخذَ القدرَ
فجعل فيها دقيقاً و شيئاً من شحمِ وسمن، وجعل يحركُ وينفخ النارَ تحت القدرِ.
قال أسلم: طبخَ عمر لهم طعاماً، وجعل يغترف بيده ويُطعمهم حتى شَبِعُوا، ثم أخذَ يلاعبُ
الصَّبِيانِ وهو بين أيديهم كأنه سبع. وخفتُ أن أكلمه، فلم يزل كذلك حتى لعبَ الصَّبِيانِ وضحكوا، ثم
قال عمر لخادمه: يا أسلم هل تدري لِمَ لعبت بين أيديهم؟ قلت: لا يا أمير المؤمنين.
قال: لأني دخلتُ عليهم ورأيتهم يبكون، فكرهتُ أن أتركهم حتى أراهم يضحكون، فلما
ضَحِكُوا طابت نفسي.

وفي دنيا الأيتام تشرق شمسُ الأمهات وهن يصنعن النبلاء بكفاحهن. قال الذهبي عن طفولة
الشافعي ومات أبوه إدريس، "فنشأ محمدٌ يتيماً في حجرِ أمِّه، فخافتَ عليه الصَّيعةُ [ضياع نسبه]،
فَنَحَوَلَتْ بِهِ إِلَى مَحْتَدِهِ [انتقلت به من بلاد الشام إلى مكة] وَهُوَ ابْنُ عَامِرِينَ، فَنشأ بِمَكَّةَ، وَأَقْبَلَ عَلَى
الرَّمِيِّ، حَتَّى فَاقَ فِيهِ الأَقْرَانَ، وَصَارَ يُصِيبُ مِنْ عَشْرَةِ أسْهُمٍ تِسْعَةً، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى العَرَبِيَّةِ وَالشَّرْعِ، فَبَرَعَ فِي
ذَلِكَ، وَتَقَدَّمَ. ثُمَّ حَبَّبَ إِلَيْهِ الفِقهَ، فَسَادَ أَهْلَ زَمَانِهِ. إن المبادرة في توجيه مسار الطفل ووضع الأهداف
الطموحة بداية المسار الصحيح كما أن العلوم الدينية والرياضة البدنية وعلوم اللغة العربية هي ضرورات
لتنشئة الطفل. قال الشافعي: كُنْتُ يَتِيمًا فِي حَجْرِ أُمِّي، وَلَمْ يَكُنْ لَهَا مَا تُعْطِينِي لِلْمُعَلِّمِ، وَكَانَ الْمُعَلِّمُ قَدْ
رَضِيَ مِنِّي أَنْ أَقُومَ عَلَى الصَّبِيانِ إِذَا غَابَ، وَأُخْفَفَ عَنْهُ... وكذلك كان البخاري يتيماً وكانت أمه
تدعو له بكثرة وتحب له العلم وتضع له الآمال العلمية العظيمة فنشأ في كنف أمه التي كانت تحمل هم
تربيته تربية رفيعة وكان لها ذلك. إن العناية بالأيتام من روائع الإسلام.

المؤمنة الحكيمة تحدد مصيرها باختياراتها الموفقة وحركتها الحسنة، وهي الأم التي تجتاز المحن على جسر الصبر وتنتقل من عالم الأحران إلى عالم الإحسان وتنقل معها ابنها إلى أهداف مرسومة، بخطوات ثابتة، مليئة بالتفاؤل، مفعمة بالتربية السليمة والعلاقات الأسرية الرفيعة وعندها تحظى بلطف الله ورعايته ويذهب الحزن مصداقاً لقوله جل ثناؤه {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} (يونس: 62).

أنواع الأمهات

إدارة المنزل سياسة في غاية الأهمية فالمرأة راعية وقائدة وعليها أن تكون معتدلة تجمع بين الحزم والحب وعليها أن تفرض كلمتها وحكمتها في البيت كي يشعر الابن بقوة ورحمة والدته فيحترم قراراتها ويجب سياساتها، ويوقر جهودها. من المعلوم أن التدليل والخوف الزائد على الطفل أو القسوة أو الإهمال كلها وسائل هدامة يجب الحذر منها. لقد وجدنا من خلال الحياة العامة أن الأمهات يملكن بفضل الله قدرات هائلة في تربية الأبناء وعبر القرون نجد أمثلة كثيرة للأمهات نجحن في الصبر على التحديات وقمن بصناعة أبناء من أفضل الأبناء.

تبحث التربية الأسرية (Family Education) أنماط الأمومة وسيكولوجيتها وتحذر من الأم اللامبالية والتي تتسم بعاطفة باردة ولتي تعيش إلا لنفسها وتحمل أسرتها. من عاش لنفسه عاش صغيراً ومات قاصراً، ومن عاش لنفسه ولغيره عاش كريماً ومات عظيماً. وفي نفس اللحظة تحذر الدراسات من الأم العصبية لأنها تسبب بفعالها غير المسئول ضرراً نفسياً بالغاً حتى لابنها الذي قد يمتص صفاتها السلبية ويتقمص سلوكيات أمه في التعامل في الأوقات الحرجة مما يؤدي إلى فشل في التوافق النفسي، ونقص الانسجام الاجتماعي. ولعل الأمومة المهملة التي تترك الأمور تجري دون سعي وتخطيط وتطوير هي أخطر أمومة. والأم القاسية لا تقل خطورة عن الأم المهملة المتساهلة. لا يريد الابن أمماً مهزومة نفسياً، مهمومة يومياً فإن أمومة بتلك الصفات السالبة سوف تفسد روحه، وتضعف عزيمته، وتشتت طموحاته.

ومن المنظور التربوي فإن الأم ذات التربية الرشيدة تستخدم تربية متوازنة والتوازن نمط تربوي "يعطى فرصه لتلقائية الطفل وفي ذات الوقت يزوده بمعرفة اتباع الضوابط الاجتماعية، ويعطيه الحرية ويعلمه احترام حرية الآخرين واحتياجاتهم، ويهتم باحتياجاته الجسمية والنفسية والاجتماعية والروحية في ذات الوقت" (المهدي، 2011م).

الثواب والعقاب منهجان من مناهج التربية، والعقوبة لا تعني ضرب الطفل وإهانته بل هي وسيلة من وسائل الحزم والإدارة الرشيدة. وليس من باب الإساءة إلى اليتيم تأديبه والحزم معه، بل التربية الصريحة الصارمة قد تكون من مصلحته وكما قيل:

فقسا ليزدجروا ومن يك حازماً فليقس أحياناً على من يرحم

القسوة هنا بمعنى عدم الرضوخ لطلبات الطفل عندما تتجاوز حد الاعتدال، وعلى الأم الحازمة عدم تلبيتها إذا كانت تفسد طباعه وتحرمه من الخيرات. الحزم من ألزم متطلبات التربية السليمة. ولعل كلمة الحزم أنسب تربويًا فالعقاب المعنوي والحرمان من بعض الكماليات لبعض الوقت من وسائل التربية رغم كره النفس لها ولكن فيها منافع كثيرة إذا استعملت بشكل صحيح وفي دائرة محدودة. وهذه الوالدية الحنونة الحازمة تفتح باب الصداقة وتعري الناشئة للاندماج بها على نحو متوازن فلا تعطي الطفل كل ما يريد بل تعطيه بعض ما يريد كلما بذل جهداً، وحقق هدفاً ووفق ضوابط رزينة. قال علي بن الحسن عليهما السلام لابنه: يا بني اعلم أنّ خير الآباء للأبناء من لم تدعه المودة إلى التفريط فيه.

لا ريب أن جميع أنماط الأمهات يفشلون في تكون صداقة واعية متزنة مع أبنائهم وبناتهم إلا النمط المعتدل الوسطي الراشد الذي يعطي الحرية بشروط، ويلجم شطحات المشاعر والانفعالات بالحكمة، ويوقف الخيال الجامح بالحزم، ويقرن الحب بالاعتدال. كل نمط من أنماط الأمومة (الجافية أو المغالية أو المعتدلة المثالية) يترك أثره في نفوس الناشئة من هنا على المربية الفطنة أن تحذر من طريقتها في إدارة منزلها، وتندبر في أمر مسلكها التربوي في سبيل الإحسان في العمل والإنشاء والتعمير والتوجيه. يقول المربون "إنّ الأم التي تعترف بأنّها امرأة - وإن حاولت القيام بدور الأب الغائب في بعض الجوانب - تخلق لدى أبنائها الإحساس بضرورة احترامها، وحماتها وإسعادها. وهذا ما يساعدها في أن تصل معهم إلى تربية طبيعياً، تمكّنهم من اجتياز مراحل الطفولة والمراهقة، وتنقلهم إلى المستقبل بالاعتماد على قدراتهم وإمكاناتهم، حيث ينعكس نجاحهم في البيت على نجاحهم في ميادين الحياة المختلفة. وطريق الأم إلى ذلك كلّهُ، المودّة والمناقشة الصريحة، والإقناع والتشجيع، والابتعاد ما أمكن عن اللهجة العنيفة والتهديد، أو التسخيف والإهانة، لكي لا تعطي أيّاً من أبنائها فرصة الشك أو التمرد، أو فقدان الثقة وما يؤدّي إلى ضعف التكيّف النفسي والاجتماعي".

يبين الجدول التالي أبرز أنواع الآباء والأمهات (سمولي، 2010م، ص 45).

الآباء	الحب والدعم لأطفالهم	السيطرة على الأطفال في المنزل بواسطة القواعد والحدود
المسيطرون	منخفض	مرتفع
المهملون	منخفض	منخفض

المتساهلون	مرتفع	منخفض
العطوفون والحازمون	مرتفع	مرتفع

إن الأم العظوفة الحازمة هي الأم الراشدة تتحمل أعباء إضافية في ظل غياب الأب فعلى كاهلها تخلص المعاملات الرسمية، وتسديد الالتزامات المالية، وتوجيه الأبناء ومساعدتهم في دراستهم وعليها إرشادهم في عملية تحديد مسارهم العلمي والمهني فضلا عن حل مشكلاتهم وتلبية حاجاتهم المتنوعة. وإلى جانب هذا العمل التربوية والإداري الضخم فإن دورها الجليل هو توفير الدعم العاطفي، والقيادة الفكرية، وتنمية الصغار شيئا فشيئا لتحقيق ذواتهم، واكتشاف إبداعاتهم وتطويرها في ظل التفاعل مع قيم المجتمع وثقافته. الواجبات كثيرة وقدرات الأم محدودة في ظل تضاؤل الدعم المدرسي فأصبحت الأم اليوم تدفع ضريبة تقصير المدارس، ولكن الله هو المعين. كل ما سبق يستلزم من الأم إدارة واعية وسياسة منزلية حازمة وعظوفة كي يشعر الابن بالأمن والثقة والدفع الأسري وتتولد لديه رغبة عارمة لإثبات ذاته وتحمل مسؤولياته ورد الجميل لوالدته ومجتمعها وأمتها.

الشدائد لا تمنع نهر السعادة من التدفق

السعادة نهر لا يتوقف مهما مر الإنسان في أحلك الظروف ومهما اعترضت قافلته أصعب المواقع لأن الله عز وجل ينزل البلاء على قدر قدرات الناس في التحمل وقد يقفل بحكمته بابا ويفتح معه ألف باب لمن صبر وهذا من كريم لطفه وجميل صنعه.

تشير الدراسات (Lamanna and Riemann, 2009, p. 271) إلى أن الأم تتفوق على الأب في قربها من أولادها فهي التي تسعى أكثر لتضبط سلوك الأطفال وترعاهم وتلعب معهم وتقدم الدعم العاطفي لهم. وقد يتفوق الأب في تعريف الطفل بالمجتمع ومساعدته في اختيار أصدقائه وطبعا دعم الأسرة ماديا. ومهما يكن الأمر فإن غياب الأب لأي سبب ليس عذرا لتدني أخلاقيات الطفل وليس عذرا لتفكيك النسيج الأسري وإعادة البناء والتغلب على التحديات مهمة ليست سهلة ولكنها ممكنة. ومن يتوكل على الله فهو كافيه وموفقه لقوله تعالى في سورة الطلاق { وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا } (الطلاق: 2). هذه الآيات نتلوها لتهدى حياتنا نحو السعادة التي لا يستطيع أحد أن يسلبها من قلوبنا وبيوتنا إلا إذا سمحنا نحن بذلك. الهموم تكبل حس اليأس وتحطم طموحاته وتورث الخيبة والضياع. أما الإنسان المتفائل المحتسب الذي لا تقهره الأزمت بل تزيد قوته، ولا تفت في عضده بل تصقل شخصيته. قال الحكماء "لا يحزنك إنك فشلت ما دمت تحاول الوقوف على قدميك من جديد". "كل الظلام الذي في الدنيا لا يستطيع أن يخفي ضوء شمعة مضيئة". "أن تضيء شمعة صغيرة خير لك من أن تنفق عمرك تلعن الظلام". المؤمن يستمتع بالنعم الموجودة حوله وهي كثيرة ولا يفكر في المفقود حتى لا

يفقد الموجود ماديا أو معنويا. هذه العبارات المضيفة كافية لشحن النفوس بالرغبة في العمل والتوقف كليا عن الشعور بالتردد أو الإحباط. إن لسان حال المحبط يقول:

المـرءُ يجمـعُ والزـمـانُ يفرقُ ويظـلُّ يرقـعُ والخطـوبُ تُمـزقُ

أما قلب المؤمن الخائف بيقين الإيمان فإنه يقول "الحمد لله الذي لا يحمد على مكروهه سواه". فراق الأحبة يتخلله الألم البالغ ولكن الصبر ضياء. مهما اشتدت الأزمات فثمة رحمة نازلة تغسل النفوس الصابرة بماء السكينة، ويرد الطمأنينة.

إزالة الفكر السلبي من عقولنا وتكوين تصورات إيجابية من أسباب ترسيخ السعادة في واقعنا. أختي: غيّري تصوراتك السلبية المحبطة تنعمي بحياة أكثر سعة ورفاهية وغبطة. "قال الأصمعي: دخلت على الخليل وهو جالس على حصير صغير فقال: تعال واجلس، فقلت: أضيق عليك، فقال: مه فإن الدنيا بأسرها لا تسع متباغضين، وإن شبراً في شبر يسع متحابين!" (التوحيد، 2007م، ص 150). الحياة ليست ضيقة ولكن نفوس الناس تضيق ونظرتهم للحياة تتغير وتصبح سلبية وهذا خطأ نفع فيه من حين لآخر قال الشاعر:

لَعْمَرُكَ مَا ضَاقَتْ بِإِلَادٍ بِأَهْلِهَا وَلَكِنَّ أَخْلَاقَ الرِّجَالِ تَضِيقُ

وساعات العسر لا بد أن تحترقها أنفاس اليسر، واليسر ينتصر إذا صبرنا. ومن نظر في الزهور وجد موعظة حسنة، "إذا فتحت الوردة عينها فرأت الشوك حولها فلتصبر على مجاورته قليلاً، فوحدها تُقصد وتُقبل وتُشم" وكذلك الساعية على شأن اليتيم أو العاملة في تربية ولدها من غير تواجد الأب سيخرج الورد والخير في حياتها متألقا رغم أشواك التحديات. الشدائد تقرب القلوب إذا استثمرناها بحكمة. قال تعالى شارحا سنن الابتلاء {إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} (آل عمران: 140). إننا نعرف الكثير من الكرمات ابتلاهن الله بفقد الزوج أو الطلاق وقمن بتربية الأبناء وهن أميات ولكنهن علمن أطفالهم فأصبحوا من نجوم العلم والمعرفة والفن.

لا بد من ملاحظة سلوكيات الأبناء بعد غياب الأب ورصد إي تغييرات أخلاقية لمعالجتها بحكمة (Glass, 2010, p. 98). إن رصد الواقع والتعمق بالاختلافات مهمة تربية لتدارك الأخطاء وتوجيه السلوكيات. يحتاج الابن إلى الاستمتاع بوقته برفقة والدته وقضاء دقائق معلومة في نشاط يحبه يوميا. إن نوعية الوقت (quality time) لا عدد الساعات من المؤشرات على صدق وعمق العلاقة مع ابنك (Glass, 2010, p. 123).

غياب الأب يترتب عليه ضرر نفسي بشكل أو بآخر، إلا أن هذا لا يعني أن غياب الأب لا يمكن تعويضه أو أن المشاكل لا يمكن أن تحل فالواقع أن الأم والأقارب قد يجسدون مثلاً علياً يسير "الأطفال على هديها ويقلدونها كما أن المشاكل التي تواجهها الأسرة قد يتم حلها بصورة صحيحة". كما أن بعض الدراسات النفسية تذهب إلى أن عدم وجود الأب لا يجعل هناك منازعات والدية يعاني منها الأبناء الذكور. فيعيشون على دماء الخلق واجتناب العنف. وقد تصر الأم على أن يتعاونوا معها وينهضوا بعبء الأسرة كما ينبغي، فلا يدعون الشجار يدب بينهم. كما يحتكمون إلى العقل" (الرشيدي، والخليفي، 2008م، ص 534).

لا نستطيع أبداً أن نصحب أطفالنا صحبة صادقة إذا لم نتخلص من مشاعر الإحباط أو الندم أو الذنب أو الحسرة والقلق والإرهاق. يجب نتخلص من الحياة الساخطة قبل أن يمتصها أبنائنا وقبل أن يتقمصوا شخصياتنا الحزينة. والتخلص من المشاعر السلبية سهلها الله انطلاقاً من استشعار الآية الكريمة {لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا} (التوبة: 40). الله عليم بتدبير شؤون عباده وهو وحده يملك زمام السعادة والطمأنينة ويهبها من يخلص في الوصول إليها ويصبر في الحصول عليها.

الصبر على البلاء صفة النبلاء. والصبر والشكر يشحنان النفوس بالإرادة والحرية والمسئولية. نحتاج إلى رؤية متفائلة للتعامل مع الشدائد فلا شدة إلا وفي جنبها نعم لله، فعلينا الصبر والحمد والشكر على تلك النعم المقتزنة بها. يعلمنا الإسلام أن نحمد الله على أربعة أمور إذا داهمتنا التحديات:

1. الحمد لله أن المصيبة ليست في ديننا.
2. الحمد لله الذي رزقنا الرضا بالقضاء والقدر خيره وشره.
3. الحمد لله أن المصيبة لم تكن أكبر من ذلك.
4. الحمد لله أننا نحتسب الثواب من الله عز وجل. وهكذا تتلاشى في جنب تلك النعم الشدائد.

إن فقد الأحباب أو فراقهم -طوعاً أو كرهاً- أمر محزن يصيب كل الناس فهي سنة من السنن الكونية الأزلية لا محيد عنها فكل أمر دنيوي مصيره الزوال ومآله الاضمحلال {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ} (الرحمن: 26). ورغم ذلك تبقى الفتن تمحص إيمان المؤمن {وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ} (العنكبوت: 3)، وتظل الطاعات في نهاية المطاف مدرسة تربية يفوز بها الصابرون المجاهدون بعد انجلاء الفتن {وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} (العنكبوت: 6). يعيش الإنسان ويتقلب من حين لآخر بين نعمة البسط واليسر وبين فتنة القبض والعسر وبناء على هذه المعادلة الأبدية يكون ابتلاء الإنسان في هذه الدنيا الفانية. هناك صنف من الناس يعتبر الفتنة نقمة وبين التصويرين فرق شاسع؛ فالصنف الأول ينظر إلى الفتنة كاختبار يجب أن

يتجمل صاحبه بالصبر والاحتساب إذا مسه الضر بينما الصنف الثاني ينظر إلى الفتنة نظرة تشاؤمية فيراها فتنة لا تنتهي مواجهها فيتصور أن الضرر لن ينكشف عنه.

الفصل الثاني: ممارسات

مرحلة ما بعد الطلاق أو الفراق

من خصائص الإسلام أنه دين واقعي لهذا أباح الطلاق بعد بذل كافة الأسباب لمواصلة المعاشرة الزوجية ومنع وقوع الانفصال. أمر الإسلام بحسن المعاملة في حال المعاشرة الزوجية وفي حال الفراق بعد الطلاق. وهذه التوجيهات تعصم الأبناء من دخول دوامة لا نفع لها. إن كف لسان السخط قبل وبعد وقوع الطلاق عفة للرجل والمرأة، وعافية وراحة للذرية. إن ضمير المؤمن الحي وقاية له من الإضرار بالآخرين فلا يليق أبدا التعنت في التعامل بين المطلق ومطلقاته ضمناً أو صراحة، فإن هذا يغضب الرب ويفسد تربية الأبناء. وقد يقول البعض لكن الحياة قاسية والواقع أقسى والصحيح أن علينا أن نحتسب ولا ننسحب وأن نتعامل مع الناس بخلق الإسلام لا بطباع الانتقام. يكذب من يقول أن الطلاق أو الفراق أو غياب الزوج أمر سهل ولكن شر من هذا القول الزعم بأن هذا أمر لا يمكن نسيانه أو التغلب على آثاره وأن ذلك نهاية الأمر. هذا الفكر السقيم ذريعة لترسيخ اليأس الساحق في حياتنا. على الأم رعاها الله أن تنزع رداء التوجس وتأنيب الضمير والخوف وعليها أن تقبل بقوة وإيمان على الحياة.

لا يَضْمَنُ الإنسان استِمْرَارَ السَّعَادَةِ وَالاستِقْرَارِ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ، وَفِي هَذِهِ الْحَالِ: إِمَّا أَنْ يَأْمُرَ الشَّرْعُ بِالِإِنْفَاءِ عَلَى الزَّوْجِيَّةِ مَعَ استِمْرَارِ الشَّقَاقِ الَّذِي قَدْ يَتَضَاعَفُ وَيُنْتِجُ عَنْهُ فِتْنَةٌ، أَوْ جَرِيْمَةٌ، أَوْ تَقْصِيرٌ فِي حُقُوقِ اللَّهِ تَعَالَى، أَوْ عَلَى الْأَقْلِ تَقْوِيْتُ الْحِكْمَةِ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا شُرِعَ النِّكَاحُ، وَهِيَ الْمَوَدَّةُ وَالْأُلْفَةُ وَالنَّسْلُ الصَّالِحُ، وَإِمَّا أَنْ يَأْذَنَ بِالطَّلَاقِ وَالْفِرَاقِ، وَهُوَ مَا اتَّجَهَ إِلَيْهِ التَّشْرِيعُ الْإِسْلَامِيُّ، وَبِذَلِكَ عَلِمَ أَنَّ الطَّلَاقَ قَدْ يَتَمَحَّضُ طَرِيقًا لِإِنهَاءِ الشَّقَاقِ وَالْخِلَافِ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ؛ لَيْسْتَائِفَ الزَّوْجَانِ بَعْدَهُ حَيَاتُهُمَا مُنْفَرِدَيْنِ أَوْ مُرْتَبِطَيْنِ بِرَوَابِطِ زَوْجِيَّةٍ أُخْرَى، حَيْثُ يَجِدُ كُلُّ مِنْهُمَا مَنْ يَأْلَفُهُ وَيَحْتَمِلُهُ (الموسوعة الفقهية، ص 29، ص 10، باختصار).

قال ابن عاشور في تفسيره "والطلاق مباح لأنه قد يكون حاجياً لبعض الأزواج فإن الزوجين شخصان اعتشرا اعتشاراً حديثاً في الغالب لم تكن بينهما صلة من نسب ولا جوار ولا تخلق بخلق متقارب أو متماثل فيكثر أن يحدث بينهما بعد التزوج تحالف في بعض نواحي المعاشرة قد يكون شديداً ويعسر تذليله، فيمل أحدهما ولا يوجد سبيل إلى إراحتهما من ذلك إلا التفرقة بينهما فأحله الله لأنه حاجي ولكنه ما أحله إلا لدفع الضرر. فلا ينبغي أن يجعل الإذن فيه ذريعة للنكايه من أحد الزوجين بالآخر أو من ذوي قرابتهما".

لقد ربط الإسلام بعظمته بين أحكام الطلاق كقانون للأحوال الشخصية، وبين الجانب الروحي وتقوى الله سبحانه ليربط دقة القانون برقة التربية الإيمانية، وإلا فإن النصوص القانونية لوحدتها لا تصلح ما أفسدته النفوس. العفو هو دفع السيئة بالحسنة وأن يستحق الإنسان حقاً فيسقطه ويتنازل عنه وهذا من أخلاق الكرام الذي جاء الإسلام ليرفع مقامه وعندما يكون العفو والصفح في حق الأهل يكون أكثر مثوبة. إن الإسلام يربط بين مشاعر التسامح وبين مفردات الشريعة لبناء إنسان كريم. قال محمد كولن "افتح صدرك للجميع... افتحه أكثر ما تستطيع... ليكن كالبحر... لتمتلى بالإيمان وبمحبة الإنسان... لا تبق خارج اهتمامك أي قلب حزين لا تمد له يدك." قال تعالى {وَجَزَاءٌ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} (الشورى: 40). وقال {وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ} (فصلت: 34). إن محاكم الأحوال الشخصية تزدهم بالقضايا والنزاعات بعد انهدام رابطة الأسرة بالطلاق، والنصوص القانونية عاجزة عن حل معظم المشكلات على نحو سليم إذا لم تكن النفوس البشرية اتخذت من العفو والوفاء منهجا في الحياة.

إن إشعار الطفل بطرق ذكية أنه ليس سببا لما جرى من طلاق في الأسرة وأن حب الوالدين له مستمر ولو بدر غير ذلك فذلك نتيجة خطأ في التعبير أو التقدير فالظروف الصعبة تصاحبها زلات عديدة. إن طمأنة الفتى عاطفيا خطوة عملية لتجاوز صدمة الطلاق وتحرير وجدان الطفل من أي لبس قد يسيطر على فكره ويكبل مشاعره.

تعتبر قضية الطلاق من القضايا الاجتماعية الكبرى والحساسة في هذا العصر وذات تأثير بالغ على كيان الأسرة عموما ومستقبل الأطفال خصوصا. إن معدلات الطلاق المخيفة تتزايد مع زيادة تعقيد متطلبات الحياة وانتشار أنماط معيشية جديدة ويترتب على ذلك زيادة عملية التثقيف لإعادة التأهيل الأسري داخليا وخارجيا، نفسيا واجتماعيا بغرض التغلب على إفرزات ومضاعفات التصدعات الأسرية. وقد يؤثر الطلاق سلبيا على تربية الأطفال ويعوق عملية التنشئة النفسية والاجتماعية السليمة لديهم إذا لم تتم تسوية الأوضاع وفق ضوابط عادلة تراعي مصلحة جميع الأطراف فتوزع جميع المسؤوليات بما يتفق مع مصلحة الأسرة حاضرا ومستقبلا.

إن انهدام رابطة الأسرة بالطلاق لا يعني نهاية المطاف والتاريخ يشهد بأن التربية الصحيحة قادرة على قلب الموازين لتعود لوضعها المكين وقادرة على تربية أطفال أصحاء فالإرادة القوية، والإيمان الصحيح، والصبر المستمر، والفكر المستنير أدوات لبناء حياة طيبة وأسرّة كريمة تعيد للمجتمع توازنه وتزيد قوة وتقدم مثلا جميلا للآية الكريمة في سورة الطلاق "وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا {2} وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بِالْعُمْرَةِ الْأُولَىٰ قَدِيرٌ" (سورة الطلاق: 2).

{3}. قال أبو بكر الجزائري في شرح سورة الطلاق "وهي عامة في كل من يتق الله تعالى فإنه يجعل له من كل ضيق مخرجاً ومن كل كرب فرجاً، ويرزقه من حيث لا يرجو ولا يؤمل، ولا يخطر له على بال، ومن يتوكل على الله تعالى في أمره فلا يفرط في أمر الله، ولا يضيع حقوقه فإن الله تعالى يكفيه ما يهمله من أمر دينه ودنياه".

قبل قدوم عاصفة الطلاق يمر الزوجان غالباً في فترة اتساع هوة الشقاق وتضعف ميكانيكيات الوفاق تدريجياً بين الزوجين، ومن علامات هذه المرحلة فتور أو جفاف مشاعر الود بين الزوجين، وقد يتصل بذلك إهمال الأطفال من خلال التسوية في إشباع حاجاتهم والتفكير الآني المقرون بالغضب وعدم القدرة على ضبط الانفعالات مما يولد المزيد من التأزم في المناخ العائلي والتوتر والتهور وضعف السيطرة على التصرفات والمشاعر.

وفي مرحلة الطلاق قد تصاحب الحياة الاجتماعية تحديات ومشاكل اقتصادية ونفسية وتربوية تنعكس سلباً على الأطفال إذا لم تكن للوالدين رؤية تتعالى على الجراح وتقدم المصلحة العامة (مصلحة الأولاد) على المصلحة الخاصة (مصلحة كل زوج على حدة). تقتضي الحكمة عدم إهدار الطاقات عبر المشاحنات البغيضة التي تتخللها عبارات التشفي أو الانتقام عند وقوع الطلاق ولا يليق أبداً استغلال وضع الأطفال كورقة ضغط ومساومة لفرض رأي أو الحصول على مكاسب قانونية لأي طرف من الأطراف. وفي مرحلة ما بعد الطلاق ينبغي من الوالدين والأطفال التكيف الجذري والشامل مع ظروف الحياة الجديدة. وقد يقتنع بعض الأبناء في هذه المرحلة من الطلاق على أن الزواج عموماً تجربة قاسية، ولا يجب التفكير في الزواج في المستقبل بسبب انفصال أبويه وهنا دور الأم في تصويب المفاهيم.

لا يمكن حل جميع التحديات التي تواجه الأسرة في هذه الفترة العصبية ولكن يمكن للأبوين تقديم النافع لأطفالهم حتى يجتازوا هذه المرحلة بأخف الأضرار وهو أمر ممكن وهذه مرحلة انتقال من حال إلى حال ولا بد من مراعاة التدرج في تفهيم الأبناء طبيعة التغيير الذي سيلحق بكيان الأسرة.

وجدير بالأم أن تدرك نفسية ابنها بعد الطلاق فالأطفال في بداية الطلاق قد ينكرون وقوع الطلاق ويحاولون رفض الخبر وقد يشعر بعضهم أنه أصبح منبوذاً فيخشى من وحشة الوحدة ويحاول أن يتشبث بوالديه... وبعد حين يحاول أن يشغل نفسه بتفاصيل ما حدث وسبب الطلاق فيوجهه وابل من الأسئلة عن هذا الأمر الأليم وقد تظل عالقة بالذهن لفترة من الزمن. وقد يقود ذلك إلى الغضب من نفسه أو من الآخرين وتحيطه مشاعر الإحباط وعدم الأمان وربما صرح بعض أصدقائه أو أقربائه أو حتى والدته بما يدور في خاطره ويؤرق مشاعره، ويكدر صفوه. إن درجة قربه من والدته تحدد مدى مصارحته لها وهذه المصارحة تعينه كثيراً على التخلص من الصمت والكتمان مبكراً.

والمراهق قد تكون معاناته أكبر وقد يدرك أن ما حدث خير من حياة مليئة بالتطاحن والخصام بين الأبوين ولكن قد يستحوذ عليه الخوف ويلوذ بالعزلة ويتشكك في مفهوم الولاء الأسري وتتبدد أمامه ذكريات الطفولة وتتفكك ساعاتها في ذهنه مما يسبب تشتت باله في بعض الأحيان وقد يحاول أن يتدخل في الأمور فيقف في صف الأب أم الأم. إن فهم معاناة الابن خطوة مهمة لا بد للأمم من فهمها فهما صحيا كي تتواصل مع ابنها وتعيد بناء الولاء الأسري، وتشيع الأمن العاطفي والدفء الإنساني. إن من رحمة الله سبحانه وتعالى أن الإنسان يمتلك طاقات نفسية عظيمة يستطيع من خلالها أن يتكيف مع الظروف الجديدة فيتفنن في فتح مسارات تسع التغيرات، وتواكب التطورات ولهذا فإن النظرة التفاعلية دائما توجد المخارج المناسبة وتفتح الآفاق الباسمة لتنطلق سفينة الأسرة رغم أمواج العقبات. إن الإنسان سريع التأقلم مع الجديد إذا حدد أهدافه، ونظم خطواته وعلم أن نسمات السعادة هبة من الله في قلوبنا وليست مفاتيحها عند أحد من البشر مهما كان مقربا لنا.

أبصري أيتها الأم الكريمة الحياة فإنها أجمل مما نتصور، وصدق إيليا أبو ماضي حيث يرى أن الصورة الذهنية هي التي تجعل الإنسان سعيدا أما البائس الذي يشتكي دائما لا يستشعر بجمال الحقيقة من حوله:

كم تشتكي! وتقول: إنك معدم؟	والأرض ملكك والسما والأنجُم
ولك الحقول وزهرها وأريجها	وعبيرها والبلبل المترنم
والماء حولك فضة رقراقة	والشمس فوقك عسجد [دَهَب] يتضرم

وهو القائل أيضا :

أيقظ شعورك بالحبّة إن غفا	لولا الشعور الناس كانوا كالدمى
أحبب فيغدو الكوخ قصرا نيرا	وابغض فيمسي الكون سجنا مظلما

إن العقل الباطن يحرك السلوك ويسيطر على الوجدان ويسير به نحو نهاية إيجابية أو سلبية حسب نظرنا للحياة إن خيرا فخير وإلا أصبح الخيار صعبا، والإصلاح أصعب، وصار الخلاص مستحيلا. دورنا هو تغيير نظرنا للحياة واغتنام فرصها الجميلة والصبر على فتنها، وإلا أصبحت الحياة مستحيلا. تبين النقاط التالية بعض الاستراتيجيات لتخفيف الآثار الناجمة عن الطلاق:

- ستر العيوب من أخلاقيات الفراق الجميل. يقول الحق تبارك وتعالى "وَلَا تَسْأُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ" (سورة البقرة: الآية: 237). الفضل درجة فوق العدل وهي درجة تنزع جذور الأحقاد والضغائن والشقاق التي قد ترافق عملية الطلاق.

- احترام الأبوين بعضهما البعض وخاصة أمام الأطفال خلق يكشف عن معدن أصيل في التسامح يحتاج إليه الأطفال لسلامة البناء النفسي عندهم.
- بيان القدر المشترك من أوجه الاتفاق مع التأكيد على هدف لا يمكن التنازل عنه وهو أن الطلاق لن يقلل من حبههم لأبنائهم وبناتهم ولن يمنع من بذل المستطاع لتوفير حياة كريمة.
- عدم التقليل من شأن الأب أو الأم تلميحا أو تصریحا أثناء الزيارات العائلية.
- إن تحسين نوعية الحياة الأسرية عملية مستمرة تتطلب تعاون الجميع وعملية تصفية الحسابات الشخصية من أشد المسائل الخطرة التي يجب الابتعاد عنها نهائيا لضمان تكييف سليم.
- عدم التوقع في آلام الماضي وعدم والتذمر واللوم وجلد الذات فالطفل لا ذنب له ومن الظلم أن نحمله نتاج تجاربنا الماضية.
- الاهتمام بالجانب النفسي والاجتماعي والاقتصادي للطفل.
- متابعة الطفل دراسيا.
- الحرص على رؤية الطفل للأبوين بشكل منتظم والتواصل معهما بمودة.
- غرس مفهوم الثقة بالمستقبل، والأمان الأسري، والدعم العاطفي وقدرة الإنسان على التغلب على التحديات الاجتماعية وغيرها.
- ومن الركائز العقلية التي يحتاج لها من يمر في مرحلة الطلاق الإدراك بأن سنن الحياة لا تخلو من الاختبارات وأن من أشكال الحكمة إسدال الستار على الخلافات الماضية فالرياح قد تجري بما لا تشتهي السفن والطبائع البشرية معرضة للاختلافات بدرجات وأنواع متفاوتة.
- تحديد الأدوار والمسئوليات بين الأبوين بشكل واقعي ومرن.
- توفير أكبر قدر من الدفء والحنان للطفل لتكوين رؤية متفائلة للحياة أساسها تحمل المسئولية.

وعلى ضوء خبراتنا أثناء تقديم الاستشارات الأسرية مع عدد من المطلقات استطعن بفضل الله سبحانه بناء حياة جديدة لهن من دون التفريط بحقوق أطفالهن وأفلحن في تكوين حياة سعيدة ومستقرة ومليئة بالحب وأزحن حواجز العجز رغم سلسلة العوائق التي تبرز من حين لآخر فتقل الإنتاجية أحيانا ولكن في نهاية المطاف لا تزيدهن المصاعب إلا إصرارا واستبصارا. ومن جهة أخرى ثمة نسوة محبطات لديهن سوء تدبير ولا يعرفن إلا لغة التقاعس خاصمن كلمة الطموح وأصبح تفكيرهن في أحداث وآهات وجراحات الأمس وهؤلاء يحتجن إلى جرعات من النشاط والثقة بقدراتهن في التكيف مع التغيرات الاجتماعية عبر معالجة الأمور بالحكمة لا الرثاء. وفي مثل هذه المواقف حقيق بنا أن نسرد قصص النجاح في مواجهة الشدائد وضرورة الخروج من دائرة الأحزان حتى لا نجر الأطفال إلى حالة من

الهزال النفسي، والتفكك الاجتماعي، والتشتت الفكري وهم بحاجة ملحة إلى عملية اندماج اجتماعي جديد. هناك الكثير من قصص النجاح لأزواج وزوجات وقعوا في دائرة الطلاق ولكنهم نجحوا في إعمار حياتهم ورفع سقف طموحاتهم وتعويض ما فاتهم إما بإعادة بناء بيوتهم مرة أخرى مع الاستفادة من دروس الماضي أو ببناء بيوت جديدة المهم أنهم استفادوا من تحديات الأمس في مسيرتهم الجديدة وقاموا برعاية أطفالهم رعاية حسنة كريمة وهو الأمر الذي نسعى إليه دائما وفيه صلاح للأسرة بأكملها، وحماية للمجتمع بأسره ويحقق الرخاء على أسس تربوية قيومة تصون المصالح، وتنمي الطاقات، وترعى حق الله سبحانه في حفظ ورعاية الأمانات.

الطلاق نقطة انطلاق وعطاء لا بداية غضب وعداء. مرحلة انطلاق نحو الإحسان للأبناء بغض النظر عن معاملة والدهم، والتعامل وفق موازين العدل والفضل وهذا سيكون له أفضل الأثر في حسن تربية الأبناء والبنات. إن الذين يربون أولادهم ويناتهم على كره آبائهم وتوجيه اللوم لهم ووضع العراقيل أمامهم انتقاما منهم لأنهم هدموا بالطلاق بيوتهم، فإنهم يزعمون زورا، ويزرعون شوكا، وينشرون شكوكا في مستقبل الناشئة ويورثون الأحقاد. إن توقي حزازات الطلاق يجنب الأطفال والشباب الكثير من الصراعات النفسية والمصاعب الاجتماعية. التسامح خير وأجدى على طول المدى. الذي يسامح نفسه يسامح الدنيا بأسرها ومن لا يسامح نفسه لا يسامح أحدا أبدا بل يورث الأحقاد، ويفوت الأجداد. اللهم اجعلنا من العافين عن الناس ومن المحسنين يا رب العالمين.

أم تصنع الحياة وتستمع بها

النفوس العظيمة في بعض جوانبها كالأخشاب النفيسة يزيد بها الإحراق طيباً، وكالمعادن الأصيلة يزيد بها اللهب صفاءً، بل هي كالبدر التمام يشق بنوره دياجير الظلام. هكذا الأم إذا داهمتها الخطوب فرزت إلى الله ولجأت إليه ليهبها القوة في صناعة الحياة وتوجيه جيل المستقبل توجيهها سليماً ليلهج الجليل غداً بذكرها الجميل، وصنيعها العظيم. قال الشاعر عبدالرحمن العشماوي وهو يوصي الأم بحسن تربية الابن:

وَأَمْنَجِيهِ الْإِحْسَانَ وَالْإِهْلَامَا	عَلَّمِيهِ الْحَدِيثَ كَمَا يَتَسَامَى
هُزِّي بِيَدَيْكَ الْكَرِيمَتَيْنِ الْعَمَامَا	وَأَنْثُرِي فِي طَرِيقِهِ السُّورَدَ
تَمْنَحِ الْأَمْنَ قَلْبَهُ وَالسَّلَامَا	رَفْرَفِي فَوْقَهُ حَمَامَةً أَمْنٍ
تَجْعَلِ الْوَجْهَ مُشْرِقاً بَسَّامَا	وَأَمْسَجِي وَجْهَهُ بِرَاحَةِ حُبِّ
فَأَجْعَلِي حُبَّكَ الْكَبِيرَ الْفِطَامَا	أَنْتِ أَرْضَ عَيْتِهِ الْخَنَانَ صَغِيرًا

أيتها الأم الفاضلة: نمي نفسك أولاً لترتقي بابنك ثانياً هكذا هي سنة الحياة الأزلية وإلا فقدت الأمومة معانيها السامية. قال الشاعر جميل الزهاوي:

ليس يرقى الأبناء في أمة، ما لم تكن قد ترقت الأمهات

تستطيع الأم أن تبذل جهدها في تربية ابنها وفي نفس اللحظة توظف الطاقات المجتمعية لتحصل مقاصدها الشخصية وطموحاتها الذاتية. تستطيع الأم أن تربط الطفل ببعض الراشدين الكبار، من خلال مؤسسات المجتمع المدني وأيضاً من خلال الإخوة الكبار للطفل أو الأعمام أو الأخوال أو الأقرباء، كل هذا يعمل على تخفيف معاناة الأطفال فاقد الأب. إن غياب الأب عن الأسرة سواء بالوفاة أو بالهجر أو لظروف العمل المختلفة أو للزواج من أخرى أو للطلاق أو نتيجة المرض، له أثر سلبي على حياة الأطفال، حيث يؤثر على نموهم العقلي والانفعالي والاجتماعي والجسمي والنفسي، وعلى ثقافتهم وتفاعلهم مع الآخرين، وعلى مستوى تحصيلهم الدراسي إلا إذا قمنا بتوفير تربية متوازنة. ومن الواجب على الأم أن تهتم بأطفالها وأن تنقل لهم صوراً طيبة عن والدهم، حتى ولو كان قد جرى بينهما خلافات ومشكلات في السابق (العمرى، 2007م، بتصرف). تقوم الأم الرشيدة بدورها الكبير في توجيه سفينة الأسرة بحكمة وعطف ولا تضرها العواطف.

ماذا يريد الطفل والمراهق من والدته:

1. التواجد في المنزل. قال أحد الأطفال "عندما أكون [في البيت] احتاج لك، اقض معي أقصى ما تستطيع من وقت". وقال أحد المراهقين مخاطباً والده "ترك مشاكل العمل في العمل وعد إلى المنزل سعيداً، وكن سعيداً بوجودك مع أسرتك، إن لديك أسرة واحدة" (سولت، 2011م، ص 33، 107).

2. المساعدة في حل المشكلات. قال أحد المراهقين حال قابلتني مشكلة شخصية أتمنى لو أن هناك زرا أضغط عليه فتتحول أُمِّي إلى صديق يهيم بي دائماً وأتق به فأبوح له أسراري (سولت، 2011م، ص 25).

3. حرية التجربة والاكتشاف. قال أحد المراهقين "لا تضغط علي كثيراً بخصوص المستقبل بينما أنا لازلت أحاول أن أكتشف الحاضر" (سولت، 2011م، ص 33).

4. الصداقة المعتدلة. قال أحد المراهقين "لا تغضباً عندما أريد أن أقضي وقتاً مع أصدقائي، فلقد كبرت وأريد أن أقضي وقتاً مع أناس من سني، أنا لا أزال أريد أن أكون صديقكم، وتكونان أنتما أبويّ! لكن ليس كل الوقت" (سولت، 2011م، ص 71). وفي دراسة ميدانية تم توجيه عدة أسئلة عن علاقة الابن بوالديه، "ومن الأسئلة التي وجهت ما المطلوب من الأب تجاه احتياجات ابنه؟ فأشار

الأبناء إلى عدد من الأمور، أهمها: يعطيني حريتي، يشد ويرخي، معاملة الابن كصديق، تلبية احتياجات الابن، المصارحة وعدم الغضب، التفاهم والحوار" (الرومي، 1431هـ، ص 89).

5. ممارسة حق المداعبة والترويح والتنزه وقضاء أوقات سعيدة. قال أحد المراهقين لأبيه "إنني أحب أن تشاهد الفيلم معي، إنه شعور جيد أن أعرف أنك تحب أن أكون معك، أحياناً، لا أعتقد أنك تريد أن تكون معي، لكنك عندما تجلس معي وتحضني فإن حبك يتغلغل بداخلي" (سولت، 2011م، ص 111).

6. إذكاء شعور الأمان على أساس الحب غير المشروط. قال أحد المراهقين "إنني أحب أن ... تشعرني بالأمان والحب بدون شروط وأكره أن تنفر مني". وقال أحد المراهقين "اهتم قليلاً بالأسلوب الذي تتبعه في تربيته واهتم كثيراً بالحب الذي يجب أن تعطيه لي" (سولت، 2011م، ص 122، 144).

7. النصيحة المقنعة. يقول محمد فتح الله كولن (2011م) "لكي يكون الناصح مقنعاً عليه أن يطبق نصائحه أولاً على نفسه ويعيش بها ويمثلها... وهذا على ما أعتقد هو السبب وراء تأثير النصائح بالأمس وعدم تأثيرها اليوم النصيحة. إقناع الأذهان عن طريق الخلق والتصرف الجيد أكثر تأثيراً من الإقناع بالكلمات (باختصار).

8. التوازن العاطفي من أهم شروط التربية الحميدة والأم كونهما قدوة حسنة للابن يجب أن تتمتع بصحة نفسية مرتفعة تؤهلها للتوافق الاجتماعي ولتكون قوية لذاتها ولغيرها.

المهارات التربوية للأم

الرحمة والحزم والحكمة والعدل والقدوة الحسنة خمسة مقومات أساسية لشخصية الأم عليها التحلي بها لتحقيق غاياتها بأيسر الطرق الممكنة. قال أرسطو: "أصلح نفسك لنفسك يكن الناس تبعاً لك، وكن رؤوفاً رحيماً، ولا تكن رأفتك ورحمتك فساداً لمن يستحق العقوبة ويصلحه الأدب.. العدل ميزان الله عزّ وجلّ في أرضه، وبه يؤخذ للضعيف من القوي، وللمحقق من المبطل، فمن أزال ميزان الله عما وضعه بين عباده فقد جهل أعظم الجهالة". ولقد وضع أبو بكر الصديق رضي الله عنه أسس القيادة الفذة سواء في البيت أو خارجه فقال "أصلح نفسك يصلح لك الناس" والحق أنها قاعدة تربوية ذهبية تندرج تحت باب القدوة الحسنة وتتسق مع قول رب العزة {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ} (الرعد: 11).

ومن أخص صفات المربية الذكية والأم الحكيمة أنها تأمر الطفل -قبل سن التكليف- بأداء الفرائض دون إجبار وتعنيف وفي إطار طاقة الطفل والرحمة به. روي أن عمر بن الخطاب، مر على امرأة

وهي توظف ابنها لصلاة الصبح فكان الصبي يرفض ويأبى ويتلکأ. فقال عمر: دعيه لا تُعنيهِ فإنها ليست عليه حتى يعقلها". والأم التي تجبر طفلها على أداء الأمور تجعله يمتنع من العبادة وقد يصل الأمر لأضرار لا يتصورها العقل. وفي صيف 2011م تناولت وسائل الإعلام العربية خبراً مفاده: فارق طفلان بدولة عربية الحياة لأنهما لم يستطيعا إكمال صيام يومهما وعثر عليهما جثتين هامدتين قبل أذان المغرب بعدما استبد بهما العطش ولم يقدرتا على تحمله. طفلة تبلغ من العمر ثمانية أعوام فارقت الحياة قبل أذان الإفطار حيث ماتت وهي صائمة. طلبت الطفلة من أمها السماح لها بشرب الماء غير أن أمها طلبت منها الصمود والنوم، ليعثر عليها بعدها جثة هامدة كونها لم تستطع مقاومة العطش. ولقي طفل في العاشرة حتفه في ظروف مماثلة، حيث لم يتمكن من إكمال أول يوم يصوم فيه بسبب عدم تحمله للعطش. كان الطفل يخبر أمه بأنه عطشان، لكن الوالدة أرادت - بحسن النية وقلة الخبرة - أن تعلمه الصبر وطلبت منه أن يغتسل بالماء حتى وصول موعد أذان المغرب والإفطار، غير أن الصغير لفظ أنفاسه الأخيرة قبل موعد الإفطار بحوالي ساعتين.

ومن جهة أخرى تميل النفوس الفاضلة والأذهان الذكية إلى التنبيه على أخطاء الطفل بالتلميح لا التصريح. وهذا الخلق الدقيق من أصول العناية بالناشئة ويحتاج إلى أن نراعيه فهما وتطبيقاً لا سيما في التعامل مع أخطاء المراهق حيث يحتاجه موجة من التغيرات الوجدانية التي تجعل ردود فعله غير موفقة ساعة النقد الشديد المباشر له. قال الغزالي "ومن دقائق صناعة التعليم أن يزجر المتعلم عن سوء الأخلاق بطريق التعريض ما أمكن ولا يصرح. وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ، فإن التصريح يهتك حجاب الهيئة ويورث الجراً على الهجوم بالخلاف ويهيج الحرص على الإصرار".

ولا ريب أن الترغيب والترهيب من وسائل توجيه السلوك. وفي سير أعلام النبلاء نجد ومضات عن الثواب كأداة من أدوات التهذيب. ولأن المسجد بيت كل مسلم يكشف الفكر التربوي الإسلامي أن العلماء كانوا يحرصون على ترغيب الأطفال بالصلاة في المسجد ويرغبونهم بما يحبونه كي يحدث الاقتتان الإيجابي. كان زبيد بن الحارث - وهو من طبقة صغار التابعين - مؤدباً "مسجده، فكان يقول للصبيان: تعالوا، فصلوا، أهب لكم جزواً. فكانوا يصلون، ثم يحيطون به. فقلت له في ذلك، فقال: وما علي أن أشترى لهم جزواً بحمسة ذراهم، ويتعبدون الصلاة". إن الثواب والترغيب من أرقى أنواع التربية لحماية الناشئة وتربيتهم تدريجياً على القيم الإسلامية والعقاب والترهيب يجعلان التربية أكثر وسطية إذا استعان بهما المربي بلباقة وعلى نحو حضاري بعيداً عن الضرب والقسوة لأنهما يقودان إلى خسارة قاسية في الحال والمآل.

ومن مقومات شخصية الأم الناجحة التي تصاحب ابنها أنها لا تكثر العتاب ولا تكرر لا سيما في القضايا المدرسية، والهفوات الصغيرة، والأمور الجانبية، وتوفاه الأمور. قال بشار بن بُرد:

أخوك الذي إن تدعوه في مليمه
إذا كنت في كل الأمور معاتياً
فعيش واحداً، أو صل أخاك، فإنه
إذا أنت لم تشرب مراراً على القدى
يُجِبُّكَ، وإن عاتبته لأن جانيه
صديقك، لم تلق الذي لا تُعائيه
مُعارِفٌ ذنوب تارةً ومُجانيه
ظمئت، وأيُّ الناسِ تصفُو مشاريه

وقال سعيد بن حميد الكاتب:

أقل عتابك فالبقاء قليل
ولعل أيام الحياة قصيرة
والدهر يعدل مرة ويميل
فعلام يكثر عتبنا ويطول

وهكذا فإن الأم الذكية لا تكثر النقد والعتاب فقد ورد على لسان احدى الأمهات إنني لم أفكر في هذا الأمر من قبل ولكن أحب أن يخبرني الآخرون بأني أقوم بعملتي على أكمل وجه. إن رئيسي في العمل لا يعطيني تقريراً تقييماً عن عملي إلا إذا قمت بارتكاب خطأ أثناء العمل، ومن ثم يبدأ في نقد ما فعلته. وفجأة، اكتشفت أنني أفعل الشيء نفسه مع أبنائي (ميتشل، 2011م، ص 207). عاملي ابنك مثلما تحبين أن يتعامل معك الناس في العمل وفي أي مكان.

ومن أولويات التربية الأساسية تعليم الطفل "قواعد الإيمان، وتدريبه على عبادة الله، وطاعته، وتأديبه بآداب الإسلام، ومكارم الأخلاق، وتعويدته على اجتناب المحرمات، وسائر السلوكيات والعادات السيئة والضارة، والبعد عن قراء السوء، وتوجيهه إلى الرياضة المفيدة، والقراءة النافعة، وأن يكون الوالدان أو المسئولون عن رعايته قدوة عملية صالحة له في كل ذلك ... قال عبد الله بن عباس-رضي الله عنهما- كُنْتُ حَلَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فَقَالَ: "يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: أَحْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، أَحْفَظْ اللَّهَ بَجِدَّةِ بُحَاهُكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعْنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ" [حديث حسن، رواه أحمد والترمذي]" (اللجنة الإسلامية العالمية للطفل، 2011م، المذكرة التفسيرية لميثاق الطفل في الإسلام، باختصار).

ومن الأمور التي يجب تجنبها إرغام الطفل على طعام بحجة أنه غذاء صحي ومفيد. من أهم قواعد التربية الغذائية تنوع الغذاء، وعرضه بشكل جذاب، وتقديم المحفزات اللفظية وإلا فإن الطفل لن يثق باختيارات الأم ويضجر من الجلوس معها لأنها تفرض عليه نظاماً غذائياً لا يفضله ومع الوقت يأنف من صحبة والدته نظراً لكثرة شروطها وقلة سماحتها. ويزداد الأمر حرجاً عندما تشرب الأم

المشروبات الغازية وتكثر من الحلويات ثم تطالب الابن بتناول الغذاء الصحي! وأسوأ من ذلك كله أن تدخن الأم السجائر أو الشيشة فتصبح الصداقة ضارة يمتص سمومها الابن ويتقمص حركاتها من حيث يدري أو لا يدري. تهتز علاقات الأمهات بالأبناء عندما يختفي الاختيار ويصبح الإجماع لغة الحياة في الغذاء والملبس والسلوك. لا بد من توفير خيارات مناسبة وإعطاء الطفل حرية في الاختيار كي يحافظ على صحته، ويجب صحبتنا ولا يتململ منها ثم ينفر عنها وقد يمقتها.

ومن الأمور التي تعزز سلوكياتنا وتزيد فعاليتنا تجاه تهذيب الأولاد: التوازن والواقعية والشخصية المعتدلة. يجب أن نعيد الثقة بأنفسنا إننا لسنا ملائكة فنحن نخطئ ونغفر ونتعلم والوالدية الصحيحة لا تعني الكمال أبدا فهذا محال. لا بد من الأم أن تعتني بنفسها أولا وهذه ليست أناية أبدا لأنه كلما شعرت بمشاعر حسنة استطاعت أن تساعد طفلها في الارتقاء بمشاعره. عنايتك بنفسك، وشخصيتك، وحياتك الطبيعة لا تقل أهمية عن علاقتك ورعايتك لابنك كما تشير الدراسات (Hayman, 2008, p. 37, 38, 82) لأن فاقد الشيء لا يعطيه، والإنسان المحبط المتعب كيف يثبت غيره وكيف يشعره بالنشاط وكيف يتواصل مع ابنه وهو يعاني الوحدة والعزلة وآفات نفسية لا حصر لها؟ يتأثر الطفل بمزاج والدته فإذا نبت في طفولة محرومة من مشاعر السعادة تظل الكآبة تصاحبه بل قد تطارده مسحة الحزن إلى آخر عمره إذا لم يتخلص منها بحكمة.

أشارت وسائل الإعلام العالمية (2011م) إلى أن تركيبة أدمغة أولاد المرأة التي تشكو من الاكتئاب، تشهد تغيراً بسبب وضع الأم النفسي، بحيث تتضخم المنطقة المسؤولة عن العواطف في الدماغ. أجرى الباحثون مسحاً بالرنين المغناطيسي لأدمغة أطفال في العاشرة من العمر، سبق أن شكت أمهاتهم من عوارض الاكتئاب لفترات طويلة، فأتضح أن اللوزة العصبية أو (الأميغدالا) المسؤولة عن ردود الفعل العاطفية، كانت أكبر لديهم من غيرهم. الأميغدالا مسؤولة عن التواصل الاجتماعي. إن النمو بوجود أم مكتئبة يؤدي إلى تضخم الأميغدالا. تشير نتائج الدراسة، إلى أن الدماغ يمكن أن يستجيب بشكل كبير، للبيئة التي يتواجد فيها، خلال الفترة الأولى من النمو، وتؤكد أهمية التدخل لمساعدة الأولاد على مواجهة أي وضع صعب.

قال أبو حيان الأندلسي في كتابه البحر المحيط "العقل ساع في تحصيل ما فيه نجاته وخلاصه أولاً، ثم يسعى بعد ذلك في خلاص غيره، ابدأ بنفسك ثم بمن تعول. ومركز في العقل أن الإنسان إذا لم يحصل لنفسه مصلحة، فكيف يحصلها لغيره؟ فإذا صدر من الإنسان تحصيل المصلحة لغيره، ومنع ذلك لنفسه، كان ذلك خارجاً عن أفعال العقلاء، خصوصاً في الأمور التي يرجى بسلوكها النجاة" (باختصار).

ومظاهر علاقة الصديقين بين الأم وابنها "تختلف من سن إلى سن، فهي في الطفولة تتبدى في الملاعبة والمداعبة ونحوها، وفي المراهقة تتبدى في الصبر على التصرفات الغريبة التي قد يرتكبها المراهق أو المراهقة؛ وفي سعة الصدر لمناقشة الأسئلة التي يظنها الآباء تافهة أو داله على الحمق والغباوة؛ وفي تنفيذ الأدلة التي يحسبها المراهقون قاطعة من صحة ما يظنون؛ وفي صرفهم بأذكي ما يستطيع عن سفاسف الأمور إلى معاليها وفي وقايتهم، بالأسوة والقدوة وضرب المثل الصادق، أن يتخلقوا بأخلاق السوء؛ وفي عدم الاستهانة بالصغائر التي إذا تركوا يمارسوها تحولت مع الزمن إلى بوائق مهلكة من كبائر الآثام والمعاصي. وهي بعد أن يبلغ الولد مبلغ الرجال - والبنت مبلغ النساء- صداقة نظيرين وعلاقة ندين، لا يضيع فيها احترام الصغير للكبير ولا حنو الكبير على الصغير لكن يتبدى فيها الاستقلال بالرأي، والحق في المخالفة، وعدم الضيق بهما؛ لأن كلا- في النهاية والبدء- ميسر لما خلق له" (العوا، 2007م، ص 48، بتصرف يسير).

ورد في مصنف ابن أبي شيبة "رَحِمَ اللَّهُ وَالِدًا أَعَانَ وَوَلَدَهُ عَلَى بَرِّهِ" يعني لا يأمره بأمر يخاف منه أن يعصيه فيه. عن ابن عمر أنه قال إنما سماهم الله أبرارا لأنهم بروا الآباء والأبناء فكما أن لوالدك عليك حقا كذلك لولدك عليك حق. وفي هذا المعنى يروى عن عمر رضي الله تعالى عنه أن رجلاً جاء إليه بابنه فقال: إن ابني هذا يعقني، فقال عمر رضي الله تعالى عنه للابن أما تخاف الله في عقوق والدك فإن من حق الوالد كذا ومن حق الوالد كذا. فقال الابن يا أمير المؤمنين: أما للابن على والده حق؟ قال نعم حقه أن يستنجب أمه يعني لا يتزوج امرأة دنيئة لكيلا يكون للابن تعبير بها. قال، ويحسن اسمه ويعلمه الكتاب، فقال الابن إن أبي لم يفعل من ذلك شيئاً... فالتفت عمر رضي الله تعالى عنه إلى الأب وقال تقول ابني يعقني فقد عققته قبل أن يعقك ... قم عني.

ومن جهة أخرى أشار المربون إلى مجموعة خطوات عملية لأمثل الطرق في التعامل مع الصغار في محيط الأقرباء (Glass, 2010, p. 108) وهي خطوات بسيطة ولكنها مؤثرة من شأنها أن تحافظ على حسن علاقاتهم بأبنائهم وإيجاد بيئة ايجابية.

يوضح الجدول التالي ما ينبغي فعله وما ينبغي تجنبه لحماية الصلة بين الآباء والأبناء

لا تفعل	افعل
- لا تقارني ابنك بأقربائه فكل طفل له خصوصياته.	-عاملي الجميع وفق خصوصياتهم وبعدالة.
- لا تنعتي الطفل بأوصاف تضايقه "أنت طفل صعب..عني.."	-اقضي بعض الوقت مع كل طفل على حدة لأن لكل احتياجاته الفردية.
- لا تعطي مسئوليات وواجبات كثيرة	-اقضي وقتاً مع الأطفال يوميا للعب.

للطفل الأكبر.	- احرص على تناول وجبة العشاء على الأقل مع الأبناء.
لا تفضلي طفلا على آخر.	- استمعي وتحذثي وحاوري كل طفل في البيت بشكل مستقل.
- لا تقولي لابنك "لو كنت أنثى لا شترت لك كذا وكذا..."	- لا بد من تخصيص يوم في كل أسبوع للتنزه مع ابنك.
- لا تضحكي عليه أمام الآخرين.	
- لا تنغمسي بوظيفتك وتحملي ابنك.	

يطالب بعض المربين بتهذيب سلوك طفلك عبر ثلاث قنوات (3Rs):

- حدد السلوك المرغوب أو المذموم بوضوح (Request).
- كرر ما تطلبه وذكر فيه (Repeat).
- أكد ما طلبته (Reaffirm). لن يكون الأطفال متميزون في كل أمر بل كلهم يمتازون في بعض الجوانب التي يؤدونها (Glass, 2010, p. 48, p. 110) وهنا دور الأم في التماس نقاط القوة لدى ابنها وتوسيع نطاقه.

وضع الإسلام ثوابت لبناء علاقة طيبة بين الأم وابنها ووضح أن الصدق أساس ذلكم البناء الفريد ومن يتأمل الحديث التالي الذي رواه البيهقي يدرك ذلك. عن عبدالله بن عامر، قال: " دَعَتْنِي أَبِي وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَنَا، فَأَتَيْتُ، فَقَالَتْ: تَعَالِ أُعْطِيكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا أَرَدْتِ أَنْ تُعْطِيَهُ، قَالَتْ: تَمَرًا، قَالَ: لَوْ لَمْ تَفْعَلِي كُنَيْتِ عَلَيَّ كَذِبَةً". إن هذه الحادثة من النقوش الصغيرة في جدار الحكمة تحث الأمهات على إنشاء علاقة إيجابية مع الأبناء قوامها الصدق في التعامل، والأمانة في القول منذ الصغر وعلى مثل هذه القيم الرفيعة تزدهر الحياة، وتنتشر القيم النبيلة، وتنمو شجرة العائلة. تحمل هذه التعاليم الإسلامية السمحة بذور التربية الوقائية التي تقي العلاقات الأسرية من الشك الذي هو أشرس عدو يفتك بجسد الأسرة حيث ينتشر داء الكذب وتتصدع معايير السلوك وكلما كبر الطفل تنامت الآفات من حوله وتكدر صفو الوداد. عالج الإسلام آفة الكذب من جذرها ونهى بوضوح عن تبريره حتى مع الصغار وطالب المؤمن بتحري الصدق ما استطاع لذلك سبيلا. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ صِدِّيقًا، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا". الصدق والصدقة توأمان، أساسهما الإخلاص.

الاعتدال في السلوك وعدم الانفعال السلبي من لوازم الصحة المتزنة فإن "الصدقة ذات التوهج الشديد تنطفئ وتنتهي بسرعة. الصدقة فن، وهناك عدد قليل جدا من الأشخاص ممن يولدون ولديهم الموهبة لهذا الفن (هاينز، 2009م، ص 306) فلا بد من اكتساب فنون الصدقة.

وإذا ذهبنا إلى أخطر أمر يدمر علاقتنا بأبنائنا فإن التجربة تقول أن القسوة والضرب والتسلط من أخطر الأمور. الابتعاد عن التسلط قضية أساسية لسلامة عقل وجسد ونفس الطفل. البيئة الصحية من أهم مكونات التربية الصحيحة وهي أكبر مسئولية في حياتنا الأسرية. وجد العلماء في علم الأمومة والأبوة أن ما يفعله التسلط والعقاب الشديد يؤثر في الدماغ مما قد يسبب كره الطفل للمدرسة (رهاب المدرسة)، أو بتبليغ الفراش ليلا أو بعوارض بدنية أخرى. ينصح المربون بأن لا ننصت إلى الأقرباء أو المعلمين أو الأصدقاء الذين يخذلون الأطفال بقولهم أن التسلط أمر عابر. لا بد من الإمساك عن الانتقاد والإكثار من المديح (لاند ويانكسب، 2010م، ص 236، 234، 160).

الأمهات يسألن الأولاد دائما عن طبيعة مشكلاتهم وأسبابها ويفكرن في إيجاد من يقع عليه اللوم ولكن لا يسألن الأطفال عن الحلول من وجهة نظرهم الأمر الذي يؤدي إلى عدم حل المشكلات. إننا نتعامل بطريقة خاطئة مع أبنائنا عندما نوجه اللوم لهم ونجعلهم كبش الفداء لأخطائهم ومشكلاتهم. يجب أن نشرك الأبناء في حل المشكلات التي تواجههم وندرهم على السيطرة على الموقف بالاعتماد على أنفسهم. إن تدريب الطفل على التفاوض يساعد على إيجاد حلول فعالة لمشكلات الأبناء والوصول إلى نقطة اتفاق يرضي جميع الأطراف. كما يدرّب الطفل أسلوب التفاوض مع الأبناء على تنمية مهارتي الإنصات والتحدث. يجب أن تخبري أبنائك بما اقترفوه من أخطاء، واشرحي لهم دائما أن المشكلة تكمن في سلوكياتهم السيئة وليس في شخصياتهم (ميتشل، 2011م، ص 152-156).

إن أكثر من 55% من المعاني نفهمها من إيماءات الوجه وحركات الجسد (طريقة التنفس، لون وتعبيرات الوجه، حركات العين،...). وحوالي 38% من المعاني يتم التوصل إليها عن طريق الاستماع وطريقة التحدث، أما الكلام فقد يوصل 7% فقط مما نريد قوله للآخرين. إن معظمنا كأمهات نعتمد بدرجة كبيرة على ما نقوله لجعل أبنائنا يستمعون إلينا. وعلى الرغم من ذلك، فإننا يجب أن نركز بدرجة أكبر على طريقة وأسلوب تحدثنا معهم أكثر من تركيزنا على ما نقول لهم. فعندما نفعل ذلك نوطد العلاقة معهم ونجعلهم يستمعون إلينا أكثر (ميتشل، 2011م، ص 143-144). إننا نهتم فقط بماذا نقول لأبنائنا وهذا قد يوصل 7% من الحقيقة ولكننا للأسف نهمل سائر أشكال توصيل المعاني وهذه مسألة مهمة جدا فالغاية مهمة ولكن الوسائل التي توصل الغايات وتسهل الأمور لا تقل أهمية في تنشئة الطفل واليافع على وجه الخصوص.

من الأمثلة المدهشة في عالم التجارة أن البضاعة قد تباع بعشر أضعافها على الأقل والسبب أن تسويق البضاعة إعلامياً وتحسين مظهر البضاعة يجذب المشتري وعليه قد ندفع مبلغاً لشراء بضاعة ولكن 80% من المبلغ يذهب لمصاريف تغليف البضاعة وحملتها التسويقية. ونجد في الأسواق بضائع جيدة ولكنها كاسدة لا يشتريها إلا القلة والسبب أنها لم يتم عرضها على نحو جميل ولم يتم الاعتناء بطريقة إخراجها بينما بضاعة أخرى جودتها أقل ولكن سعرها أعلى بكثير لكن يقبل الناس على شرائها فقط بسبب أنها ماركاة يتم تسويقها وفق فنون الإعلام الحديث ويتم إخراجها بطريقة تجذب الزبون نفسياً وذهنياً. وهذا الأمر ينطبق في كثير من جوانبه مع حياتنا مع الأبناء نقدم لهم أفضل النصائح والمواعظ ولكن بطريقة غير جذابة بل منفرة أحياناً فينفض الأبناء من حولها ويديرون ظهورهم لنا.

لا يكفي أن تكون نياتنا حسنة وأقوالنا صادقة إذا لم نتبع ذلك بأسلوب لطيف ولهذا قال المولى جل شأنه موجهاً نبيه لأمثل الطرق في التربية والتأثير والإصلاح {فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَئِن تَهُمَّ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ} (آل عمران: 159). قال علماء التفسير "فبرحمة من الله لك ولأصحابك - أيها النبي - من الله عليك فكانت رفيقاً بهم، ولو كنت سيئ الخلق قاسي القلب، لانصرف أصحابك من حولك".

يجب أن لا يبرر الآباء والأمهات جفوة أقوالهم وقسوة أفعالهم بأنهم ييغون مصلحة الابن أو الابنة فالحقيقة أن ذلك من شأنه تشويش العقل وتقويض أسوار الحوار والابتعاد عن البيئة الأسرية بأقرب فرصة. إن الخوف المفرط ليس وسيلة للتعليم الفاعل ولكن الحب والرفق واللطف والحزم والحكمة من أروع الوسائل في غرس الفضائل.

عندما نتسوق في الجمعية التعاونية أو غيرها نستغرب من أولئك الذي يصرخون بعبارات مهينة يبتغون منها ضبط سلوك أطفالهم إنهم يظنون أنهم يحسنون صنعا ويربون ابنا والحقيقة أنهم يقللون من إنسانية ابنهم عبر سياسة القهر التي يبندها العقل السليم والفكر القويم. إن أسوأ الأفعال أن نسوغ تصرفاتنا السلبية. إن الطفل ينفر من أن يتحكم فيه أحد ويرفض أن يهيئه أحد ويكره أن يضربه أحد ولكن التربية الخاطئة تروض الطفل للأسف على الخنوع والذل والجبن والغباء والغاء الذات فكيف تصفو الصداقة الأسرية؟ احذري من أسلوب التسلط والجفاء فإنه يصنع التبلد والرياء في نفوس الأبناء. وكلما رفض الابن بفطرته صور الذل وأخذ يطالب بكرامته وحرته اعتقدنا أن هذا هو العناد بعينه وهذا الرفض عقوق وفسوق، وطول لسان وقلة أدب! إن العبارات التربوية المهذبة كالعسل في سمع الطفل والصيغ القاسية كالخل في فمه. مشاعر الأبناء مرهفة وكذلك البنات أكثر مما نتوقع وكل محاولة لجرحها تجرنا إلى توسيع الفجوة في مجال تنمية شخصيتهم والتواصل معهم وإذا بلغ السيل الزبي وتكرر الأمر تحولت مع مرور الزمن الفجوة إلى هوة سحيقة تسحق شخصية الناشئة وتحولهم إلى كائنات تكره اللطف وتعشق

العنف وتبدأ رحلة الانحراف لا سبغ الله. إذا جرحنا مشاعر الأبناء اليوم بعباراتنا المشينة سيخرجون مشاعر المجتمع بأسره غدا.

التنشئة الاجتماعية السليمة تعمل بطاقة الحب والرحمة والرفق واللفظ والحكمة وهي أقوى طاقة على الإطلاق خلقها الله سبحانه لحماية البشرية ولكن قلما يستخدم الإنسان طاقة الحب في تربية رشيدة تحميه من شرور المشاجرات والجرائم بين الأفراد والأمم والحضارات. الحب والرحمة والرفق واللفظ والحكمة طاقة عظيمة لبناء أسرة كريمة، وشخصية قوية بل هي من أهم المعينات للآباء والأمهات في بناء جيل جديد يملأ طباق الأرض علما وحلما وحباً، ويسعها طيبة وعطاء، ويذيقها خيراً ونوالاً.

تستخدم الأم أحياناً مجموعة من النواهي وتقول "لا" عشرات المرات ولكن السلوك السلبي للطفل لا يتوقف بل قد يزيد وكلما زاد الصراخ ازداد السلوك السلبي. تشير دراسة في علم النفس أن الإطراء والمدح على السلوك الإيجابي خير من النهي والصراخ وذلك في تعديل سلوك الطفل (ماكجينييس، 2007م، ص 124). إننا نحدد ونعرف ما لا نريد من أبنائنا ولكن هل نعرف ما نريد؟ لم لا نتحدث عن الذي نريده ونركز عليه ونقلل من الممنوعات والنواهي في حياتنا اليومية مع أبنائنا؟

فإذا كنت متضايقاً من شخص ما يكون لديك الحق في أن تعبري عن مضايقتك ولكن أيضاً عليك بتحمل مسؤولية الاستماع إلى ما يقوله الطرف الآخر. وهكذا توجد فرصة للتصالح أو التسوية. لكن عليك أن تحذري من الحديث لفترة طويلة دون أن تدعي الفرصة للاستماع إلى الطرف الآخر، ولا تستخدم الأسلوب في ترك المكان وصفق الباب بوجه ابنك كنهاية للحوار (ماكجينييس، 2007م، ص 196).

والتعبير عن المشاعر وسيلة لتخليص النفس من ثقل الهموم فلا بأس أن نبكي فنحن بشر ومشاعر الشفقة تغسل همومنا، وأحياناً البكاء وسيلة لتخليص النفس من ثقل الأحزان فلا بأس أن نبكي إذا تعرضنا لا قدر الله لضيق شديد فالبكاء مداواة إذا كان في مكانه الصحيح، ولم يخرج عن حد الاعتدال. إن الدموع هبة عظيمة من عند الله -فهى صمام أمام موجود في جسمنا- ولا يوجد أي سبب يمنعنا من أن ندعها تتدفق بحرية (ماكجينييس، 2007م، ص 166). يقول البعض لابنه أنت رجل لا أريد أن أشاهدك تبكي وهذا جميل أن نعلم الولد -والبنت أيضاً- الصبر والقوة ولكن الأم الحذرة لا تفرن الرجولة بالبكاء بل الطفل والكبير يمكنهما التعبير عن مواجهتهما بالدموع بحكم التكوين الإنساني. ولهذا بكى المصطفى صلى الله عليه وسلم عند موت ابنه إبراهيم -ولده من السيدة مارية رضي الله عنها- وقال: تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلا ما يرضي الرب وسن لأمتة الحمد

والاسترجاع والرضا. إن إخراج المشاعر السلبية من النفس تعطي الفرد راحة نفسية والمهم أن يعبر عنها بطريقة لا تخرج عن المسلك الطبيعي دون إفراط أو تفريط ودون المساس بمشاعر الآخرين.

أساليب للتحكم بالغضب الشديد

الصداقة حصيلة مواقف موفقة يجب تخليصها وتنقيتها من كل شوائب الاستجابة لانفعالات بغیضة، وردود أفعال مدمرة. لا تجعلي أيها الأم الحازمة الحنونة لحظات الغضب المدموم تفسد ما صنعه المعروف من إشاعة الحسنی فتحسرین رصیدك، ويحبط سعیدك، فالصبر ساعة خير من غیظ يهدم مشاعر الحب والشفقة والتضامن في لحظة. الغضب الشديد يجعل مراقبي الصعود والتواصل والصداقة تصیر حطاماً وظلاماً، ويصبح المحمود مذموماً. الغضب إذا خرج عن حدود الاعتدال فهو ضعف وعجز ووهن وندامة، والحلم والصبر ونكران الذات قوة في الأدب الاجتماعي، والمنظور الأخلاقي الذي يهدف إلى أن ينصاع الطفل إلى صوت الصداقة والعقل والحزم والضمير لا صراخ الترهيب والتأنيب والوعيد، وسيطاً التوجس والخوف والتهديد. عندما ينفعل الإنسان بحكم تكوينه الإنساني ويغضب على نحو هائج قد يفقد نصف قوة عقله، ويقل تركيزه، وتشل صحته، فتزداد الأخطاء، ويتقلص الصواب. يتضمن الغضب الشديد الميل إلى العداة اللفظي والبدني أحياناً يصحبه انفعالات تظهر آثارها على الجسد عموماً، والوجه تحديداً.

لماذا تغضب الأم؟ هناك أسباب موضوعية للغضب من مثل استهتار الطفل والإصرار على الإهمال والتملص من المسؤوليات. وهناك أسباب متعلقة بعمل الأم خارج المنزل والضغوطات النفسية العالية أو الجهل بآليات ضبط الأعصاب والاستعجال في اتخاذ القرارات وسوء التوافق وضعف التواصل مع الأبناء. من المهم أن تحدد الأم أسباب سرعة غضبها وسبل معالجتها للمشكلات الناجمة من الغضب الشديد لأن الأطفال الذي يحظون برعاية بعيدة عن الانفعالات الضارة يظلون في مستوى بيئي طبيعي يؤمن لهم تربية طبيعية تساعدهم على النمو السليم ذهنياً وعاطفياً واجتماعياً وبدنياً.

إن إدارة عواطفنا سبيل فلاحنا ولتحصيل ذلك يجب تدريب النفس على كظم الغیظ ثم العفو ثم الإحسان. قال جل ثناؤه {الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالصَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} (آل عمران: 134). تتميز التربية الإسلامية بأنها وقاية وعلاج وتنمية وأنها تضبط السلوك الإنساني وترشد المسلم إلى طرق كظم الغیظ والتحكم فيه وهو الأمر "الذي يعبر عن الإرادة القويّة التي يواجه بها الإنسان حالات الانفعال التي تدفعه إلى الاندفاع في تفجير الغیظ الذي تمتلئ به نفسه تجاه الآخرين، فلا يسمح لها بأن تجرّه إلى ذلك مما لا تحمد عقباه، بل يُحاول أن يحبس غیظه في

صدره. وتأتي بعد ذلك التخلق بالعمو الذي يمثّل الروح المتسامحة الطيبة التي لا تنطلق من عقدةٍ نفسيةٍ داخليةٍ عندما تكظم غيظها، بل تعمل على التخلص من كلّ أجواء الغيظ بتفريغ النفس من كلّ الحالات السلبية التي تثيره وتعمّده، وذلك بأن يتلمس أسباب العفو في دراسته للنقص الذي رُكّب في الإنسان أو للظروف الداخلية أو الخارجية التي دفعته نحو الخطأ، أو بغير ذلك مما يوحي بالأسباب التخفيفية الباعثة على العفو عنه، واعتبار كأنّ الخطأ لم يكن في كلّ سلبياته الذاتية، وهذا ما يجعل من الأمر بالصبر وكظم الغيظ وسيلة للتهذبة والتبريد الداخلي، من أجل دفع الإنسان إلى التفكير الهادئ المتزن الذي لا يتعامل مع العنف، بل يتعامل مع الرفق واللين، ولا يندفع في اتجاه تعقيد المشاكل، بل يعمل على حلّها مهما أمكن، ذلك هو السبيل الذي يجعل من العفو حالة واعية واقعية بدلاً من أن تكون حالة مزاجية طارئة لا تركز على أساسٍ من وعي وفكرٍ وإيمانٍ (محمد فضل الله، من وحي القرآن، تفسير آل عمران: 134، بتصرف يسير).

ورد في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور "وكظم الغيظ إمساكه وإخفاؤه حتّى لا يظهر عليه، وهو مأخوذ من كظم القربة [وعاء من الجلد لنقل الماء] إذا ملأها وأمسك فمها... فهو تمثيل للإمساك مع الامتلاء، ولا شكّ أن أقوى القوى تأثيراً على النفس القوّة الغاضبة فتشتهي إظهار آثار الغضب، فإذا استطاع إمساك مظاهرها، مع الامتلاء منها، دلّ ذلك على عزيمة راسخة في النفس، وقهر الإرادة للشهوة، وهذا من أكبر قوى الأخلاق الفاضلة". قال الشعراوي إذا ما كظمت الغيظ، فقد ينجل الذي أمامك من نفسه وتنتهي المسألة. وكلمة العفو مأخوذة من عفى على الأثر، والأثر ما يتركه سير الناس في الصحراء مثلاً، ثم تأتي الريح لتمحو هذا الأثر. إن هناك فرقاً بين الانفعال في ذاته، فقد يبقى في النفس وتكظمه، ومعنى كظم الانفعال: أن الإنسان يستطيع أن يخرج الغيظ من قلبه، وكأن الأمر لم يحدث، وهذه هي مرتبة ثانية. أما المرتبة الثالثة فهي: أن تنفعل انفعالاً مقابلاً؛ أي أنك لا تقف عند هذا الحد فحسب، بل إنك تستبدل بالإساءة الإحسان إلى من أساء إليك. إذن فهناك ثلاث مراحل: الأولى: كظم الغيظ. والثانية: العفو. والثالثة: أن يتجاوز الإنسان الكظم والعفو بأن يحسن إلى المسيء إليه. وهذا هو الارتقاء في مراتب اليقين؛ لأنك إن لم تكظم غيظك وتنفعل، فالمقابل لك أيضاً لن يستطيع أن يضبط انفعاله بحيث يساوي انفعالك، ويمتلئ تجاهك بالحدة والغضب، وقد يظل الغيظ نامياً وربما ورث أجيالاً من أبناء وأحفاد (بتصرف).

وفي ذم الغضب والاحتراز منه، والانصراف عنه خطوات تربوية نشير إلى بعضها:

1. اعلمي أن الغضب يدمر علاقة القرابة ويفسد صلة الصداقة فما تبنيه كأم في أعوام يمكن هدمه في مدة قصيرة وأحيا في موقف لاهب. الغضب الشديد لا يحل المشاكل لأن "الغضب ريح قوية تطفئ مصباح العقل".
 2. كل إنسان خطأ فلا تغضي من ابنك. كلنا كالقمر .. له جانب مظلم:
"We are all like the bright moon, we still have our darker side".
 3. لا تبرري لنفسك بقولك "إنني دائما عصبية المزاج في مواقف الغضب" فهذه حيلة دفاعية واهية لتعطيل العقل والإرادة ولتبرير الزلل وإنما الحلم بالتحلم، والصبر بالتصبر، والكرم بالكرم. رددى هذه العبارة: أنا بفضل الله أتحمم بانفعالاتي، وأكظم غيظي، وأحل المشكلات برباطة جأش.
 4. عليك بقطع الأسباب التي تعمل على هيجان الغضب لديك ولدى ابنك.
 5. تذكرى فضل كظم الغيظ وثواب العفو والتسامح والحلم.
 6. إن كنت واقفة فاجلسي. قال القرطبي "الغضب جمرة تتوقد في القلب. ولأجله أمر النبي صلى الله عليه وسلم من غضب أن يضطجع. فإن لم يذهب غضبه اغتسل [توضأ] فيخمدتها اضطجاعه ويطفئها اغتساله". إن الاسترخاء وتغيير البيئة والتفكير في أمور مختلفة نصائح نفسية عصرية نفيسة تؤكدتها الدراسات الحديثة.
 7. تحدثي عن مشاعرك وليس عن أخطاء ابنك.
 8. التزمي بالحديث في موضوع واحد.
 9. اتركي لابنك فرصة للرد.
 10. وإذا وعدت ابنك فأنجزي ما وعدتيه وإن كنت غاضبة منه؛ فإن لم تفعلي تنخفض ثقة الطفل بك.
 11. حاولي التنفيس وحل المشكلة، لا دفع الحوار إلى التنافس.
 12. خففي من حدة النقد بإبداء الود (ماكجينيس، 2007م، ص 198).
 13. اذكري الله وتعوذي من وساس الشيطان فالأذكار الماثورة ذات قوة عجيبة في تسكين الغضب وإخماده، كما تستجيش في النفس قوة الإرادة.
 14. تصوري شكلك وأنت غاضبة لا تتحكمين بنفسك، وتحمم عينك، ويفور دمك، وتنتفخ أوداجك، وستجدينها صورة غير جميلة لا سيما إن كانت حركة يدك مرتعشة وخطواتك متعثرة.
لا تعاقبي طفلك ساعة الغضب بل استخدمى الطرق التالية:
- عبري عن مشاعرك بقوة تجاه الفعل السلبي "أنا محبط من هذا التصرف..".
 - ركزي على الفعل السلبي لا الشخص، وانتقدي السلوك لا الفاعل.
 - حددي بدقة السلوك غير المرغوب به "لا تأخذ مقتنيات غيرك إلا عندما تستأذن".

- وضحي ما تتوقعين "كنت أتوقع أنك تعيد القلم إلى مكانه..."
 - أرشدي الطفل إلى طريقة حل المشكلة وتعديل الزلل "ضع هذا القلم مكانه واعتذر من أختك..."
 - وفري خيارات للطفل "يمكنك استعارة القلم من أختك لبعض الوقت.. يمكنك شراء قلم مثله عليك أن تختار الأنسب لك" (Lamanna, M. and Riemann, 275).
 - اقبلي من طفلك الاعتذار، وعلميه فن التخلص من الاستهتار.
 - اعلمي أن القصد من العقاب التهذيب.
 - أشعري طفلك بأنك شخصية حازمة وإلى جانب ذلك فأنت أم حانية، تقبل ضعفه البشري وتطلب منه تقوية إرادته، وقد تعاقبه أحيانا لترشده، فيشعر ويتيقن الطفل أن الأمور لا تمضي جزافاً بل لا بد من فهم الدروس والعبر من الموقف الحياتية فتزيد تجارب ومعارف الطفل ويتعلم أنه "مَنْ لَا يُكْرَمُ نَفْسَهُ لَا يُكْرَمُ".
 - كل ما تفعليه سينطبع في ذهن ابنك (حلم وهدوء أو صراخ وشمتم...) وسوف يقتدي به لاحقاً فاجعلي تصرفاك واعية رصينة رشيدة.
 - ذمي الإفراط في الغضب أمام ابنك لأنه خلق يدمر القرابة ويفرق بين البنوة والأمومة، ويضر بصحة الإنسان. قال بعضهم لابنه: يا بني لا يثبت العقل عند الغضب، فأقل الناس غضباً أعقلهم، الغضب عدو العقل، يا بني إياك وشدة الغضب فإن شدة الغضب محقة لفؤاد الحكيم". قال ابن قيم الجوزية "وأما الغضب فهو غول العقل يغتاله كما يغتال الذئب الشاة"، "والغضب نوع من الغلق والإغلاق الذي يغلق على صاحبه باب حسن التصور والقصد".
- لقد حَضَّ الإسلام "على كسر الغضب والتدرب في إطفائه؛ إذ هو جمرةٌ من جهنم، وبابٌ من أبوابها، وقال رجلٌ للنبيِّ صلى الله عليه وسلم: «أوصني، قال: لا تغضب، قال: زدني، قال: لا تغضب، قال: زدني، قال: لا تغضب»، ومن جاهد هذا العارضَ من نفسه حتى غلبه، فقد كُفِيَ همًّا عظيماً في دنياه وآخرته" (تفسير الثعالبي).

إظهار المودة وغرس القيم

هناك طرائق مؤثرة لإظهار الحب والمودة لأطفالك وتوثيق العلاقات الإيجابية منها ما يلي:

1. امضي وقتك مع ابنك بنفس حلوة، وابتسامة مشرقة، وصحبة حانية.
2. كوني قدوة حسنة وأساسية له.

3. استمعي له وأنصتي لمشكلاته. الحوار مع الأبناء يكشف عن وضوح أو غموض أهدافهم وتصوراتهم عن أنفسهم وعن غيرهم وعن الأشياء من حولهم.
4. قدمي إرشاداتك على نحو محب. يحتاج الطفل لمعرفة القواعد السلوكية المقننة ويحتاج لمعرفة ضوابط المعيشة بشكل مبسط وبعيد عن الأوامر المتشددة.
5. التخلق بالسخاء بلا إسراف. قال الشافعي:
- تَسَاءَلُ بِالسَّخَاءِ فَكُلُّ عَيْبٍ يُغَطِّيهِ كَمَا قِيلَ السَّخَاءُ

7. الذكرى تنفع المؤمنين والعقلاء من الصغار والكبار والهدف من الذكرى لا التعليم بل الحث على الأداء الحسن ولقد كان السابقون ينصحون بالذكير من هذا المنطلق. قال أحدهم إن أدرك "لا لأجدد به عليك ما ليس عندك، ولكن لأذكرك، فإن التذكير بالخبر بعث على الاهتمام به، والبعث عليه سلوك لطيفه" (التوحيدى، 2007م، ص 33، بتصرف).

8. أعطه التشجيع المستمر بشكل متجدد. اعثري على حسانته وابحثي عن مآثره واكتشفي تميزه وأبرزيه. يقول مارك توين: "أستطيع أن أعيش شهرين كاملين على كلمة إطراء". إن المجاملة الصادقة حسنة.

9. دربيه تدريجياً على أخذ زمام المبادرة وتحمل تبعات قراراته.

10. أخبريه عن بعض تجاربك الصغيرة والكبيرة بلغة يفهمها فرحلتنا في الحياة فيها عبرة وعظة وواقعية إذا تمكنا من حسن عرضها وانتقاء القيم النافعة منها. كثير من التحديات والمواقف التي عشناها في البيت أو المدرسة قد تصادف أطفالنا مستقبلاً .

11. أحبي طفلك حبا وادعّميه بشكل غير مشروط (Love and support your children unconditionally). يحتاج الطفل الحب والمودة حتى إذا وقع في الأخطاء فالدعم العاطفي للطفل ليس قاصراً على لحظات الإنجاز والإحسان والثواب ولكن الشعور الإيجابي المحيط بالفرد في ساعات العسر من أسباب التغلب على الإحباط ومن أهم أسباب الشعور بالأمان (Brunkhorst, 2011, p. 33).

12. اغتنمي الفرص فإن المرابي الناجح كالقنّاص لا يدع الفرص تمر دون استثمار لها. وفي الحديث "اغْتَنِمِ الْفُرْصَةَ قَبْلَ حَمْسٍ قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ".

13. اجتنبي انتقاد ملبسه أو تسريحة شعره بطريقة تصادمية لا سيما إذا كان في سن المراهقة. اتخذى من الحوار الهادئ والجلسات السانحة مناسبة لوضع الآداب العامة في الملبس ويجب أن

تكون مناسبة لعصرهم وبيئتهم لا لعصرك وجيلك. يعتني اليوم الأولاد بأجسامهم أحياناً بطريقة مفرطة بل قد يتناولون بعض المنشطات والأدوية دون إشراف المختصين لإبراز عضلاتهم وتحسين مظهرهم وهذا يحتاج منا إلى فهم دوافعهم المشروعة والثناء عليها مع انتقاد حكيم للممارسات الخاطئة ومن غير تسفيه لتوجهاتهم. الإقلاع عن كل ما يضر بالصحة ضرورة وأولوية.

14. التدريب أساس اكتساب القدرات وتقريب الصلات. لاحظ العرب قديماً طائر الحُبَّارَى فوجدوا أنّ الأم تعلم ولدها الطيرانَ قَبْلَ نَبَاتِ جَنَاحِهِ، فتطير مُعَارِضَةً لِفَرَحِهَا ليتعلم منها الطيران. وكذا الطفل يتعلم بالاقتداء والتقليد والتدريب أولاً، والتعلم الاجتماعي (Social learning) من أقوى أنواع التعلم. وانتبه العرب لعالم الطيور والحيوان فلاحظوا أن الطيور تستعد لما ستفعل وتمهد لذلك وحقيق ببني البشر فعل ذلك "وهذا الطائر إذا علم أن الأنثى قد حملت أخذ ينقل العيدان لبناء العش قبل الوضع... الحيوان البهيم يتأمل العواقب... والذر [النمل] يدخر الزاد من الصيف لأيام الشتاء... وهذا اليربوع لا يتخذ بيتاً إلا في موضع صلب ليسلم من الحافر، ويكون مرتفعاً ليسلم من السيل، ويكون عند أكمة أو صخرة لئلا يضل عنه، ثم يجعل له أبواباً، ويرقق بعضها فلا ينفذه، فإذا أتى من باب مفتوح، دفع برأسه ما رقى من التراب؛ وخرج منه" (ابن القيم بدائع الفوائد).

15. اذكري القصص الرمزية فإنها تغرس الكثير من معاني الحياة وسننها بشكل سلس يساعد الإنسان على أن تسكن المعلومات في وجدانه.

نظرية إكس (X) وواي (Y) في التعامل مع سلوكيات الأبناء

الثواب (Y) والعقاب إكس (X) هو منظور للحياة وللتعامل مع الأنماط السلوكية للأبناء وغيرهم. في عام 1960 م وضع عالم النفس دوجلاس ماكجريجور (Douglas McGregor) نظرية إدارية توسع نسق الحرية وتوطد العلاقات الإنسانية وتعلي من شأن النظرة الإيجابية للأفراد. فيما يلي تعريف بأهم أركان نظرية إكس و واي ثم في الشق الثاني سنتناول تطبيقات عملية في محيط الأسرة وسبل توظيف هذه النظرية في التعامل مع سلوكيات الأبناء بفاعلية ونجاح.

يرى التربويون أن أنماط الإدارة كثيرة فمنها الإدارة التي تعمل وتدير الأمور بأسلوب أسري مبني على العلاقات الشخصية وهناك من يفضل العمل بالأسلوب العضوي وكأن المؤسسة جسد واحد وكل قسم فيه بمثابة العضو الذي يتحرك وفق حاجات الجسم ووفق تخصصه وهناك المؤسسة التي يغلب عليها النمط الآلي الذي لا يكثر كثيراً بتغيير الظروف الخارجية ويستمر العمل فيه دائماً على وتيرة واحدة والعزل يكون مصير أي جزء لا يلتزم حرفياً بنمط العمل.

رغم اختلاف الأنماط الإدارية في تصريف الشؤون في أي جماعة أو مؤسسة فإن المتخصصين في الأصول الإدارية يفضلون الحديث عن نمطين هما في العادة من أكثر الأنماط التي تمارس في المؤسسات التعليمية وغيرها وهما نظرية (إكس وواي) وهي نظرية تشير إلى نمطين إداريين متناقضين. كيف نعمل مع الآخرين؟ وما موقفنا إزاء قدراتهم؟ وما سبل تنشيط الدافعية للعمل عندهم؟ هذه الأسئلة من أهم المسائل التي تحدد منهج القائد في مؤسسته وحتى الأم في منزلها كما سيأتي بيانه لاحقاً.

في نظرية إكس التقليدية القائد لا يسأل نفسه عن أسباب تقصير الموظفين في عملهم ويبادر فقط في تطبيق القوانين العقابية. العامل في نظر القائد عنصر شامل لا يعمل إلا بالضغط عليه فهو بحاجة لمسئول يتابعه ويوجهه ويحاسبه ويعاقبه لأن العامل بطبيعته لا يحب العمل ودافع الإنجاز عنده ضعيف ولا يجب تحمل المسؤولية، ويفضل السلامة فوق كل شيء. هذا المنهج في السيطرة على العاملين يحقق الإنتاجية المطلوبة للمؤسسة ويستطيع القائد أن يحقق الأهداف. القائد قد يقدم بعض الأسباب والتفصيلات في سير العمل ليحث الموظفين على العمل وليقنعهم بأهميته. المراقبة الدائمة هي سمة القائد في التعامل مع الموظفين والقائد وحده هو الذي يصدر القرار دون مراعاة لرأي الموظفين، وتصرفاته توحى أنه ملم بكل المواضيع. في هذا النمط تضيق دوائر الشورى والمشاركة وتتسع دائرة القرارات الفردية فالعمل كله يتمركز حول شخص هو القائد أو المدير أو الأم.

وتمثل نظرية واي الجانب الإنساني الإيجابي الديمقراطي في التعامل مع الموظفين كأهم مورد من موارد المؤسسة. فرضيات هذه النظرية تختلف تماماً مع النمط السابق فالعامل من منظور هذه النظرية إنسان إيجابي بطبيعته يحب الإنتاج والعمل والإنجاز كما يحب المرح والراحة. وعليه فإن فلسفة المؤسسة لا تعتمد على أسلوب العقاب والتخويف من أجل حث العامل على تحقيق أهداف المؤسسة. الثواب هو الذي يشجع العامل على الجودة في العمل وإتقان المهارات المطلوبة. يتحمل العامل هنا المسؤولية والميدان مفتوح لقبول إبداعاته في تحقيق أهداف المؤسسة، وخدمة العاملين فيها، وحل المشاكل التي تعترض المسار المهني. الموظفون يكون لهم دور بارز في اجتماعات المؤسسة ولهم ثقل في إصدار القرار ويمكن أخذ أفكارهم الجيدة ويمكن العمل بها. العلاقة بين الموظفين وبين القادة داخل المؤسسة مبنية على الاحترام المتبادل.

والفرق بين نظرية إكس وبين نظرية واي أن نظرية واي توازن بين متطلبات المؤسسة وأهدافها وبين حاجات العاملين في المؤسسة وهو الأمر الذي لا يهتم نظرية إكس إذ أن مصلحة العمل فقط فوق كل مصلحة وهي المقصد الأول والأخير في العمل. وعليه فإن نظرية واي تناسب طبيعة الناس أكثر من النمط الآخر (Razik & Swanson, 2001, p. 163) فهي على أقل تقدير تتيح المجال للاستماع لجميع الموظفين وتعطي فرصة أكبر للتعبير والتغيير.

ونظرية واي أقرب للصواب لأنها تراعي خصوصيات ومشاعر الموظفين وتنظر إليهم نظرة فريق متعاون. نظرية إكس أقرب إلى المسلك البوليسي الذي يتصيد الأخطاء. ولقد حذر الإسلام من الأخلاق الذميمة وعلى رأسها التجسس فقال للمسلمين عامة وللقائد خاصة "إِنَّكَ إِنْ اتَّبَعْتَ عَوْرَاتِ النَّاسِ أَفْسَدْتَهُمْ أَوْ كِدْتَ أَنْ تُفْسِدَهُمْ". هذا لا يعني أن العمل الإداري في أي مؤسسة لا يتطلب المتابعة والرقابة والحزم ولكن المبالغة في استخدام السلطة تجعل الوصاية أساس الرقابة حيث تحرص العين الناقدة على أن تفتش عن الأخطاء وهو الأمر الذي يفسد العمل ولا يصلحه كما يتوهم بعض المدراء والموجهين والنظار في المدارس والآباء والأمهات في البيوت.

تطبيقات نظرية إكس وواي في محيط الأسرة

النظرية السابقة حدثتنا عن نمط متميز في إدارة السلوك حيث يقوم القائد بالبحث عن الجوانب التي يمكنه فيها أن يمد يد المساعدة للآخرين لإنجاز الأعمال. طريقة إكس أساسها الإيجار والنهي أما واي تقوم على الإخبار والحث حيث تخبر الأم ولدها ما يستحسن القيام به. الطريقة الأولى قوامها لا الناهية (لا تفعل، لا تذهب، لا تصرخ....) أما طريقة واي فهي قائمة على الترغيب والإيجار الإيجابي (من المستحسن فعل هذا، جميل منك أن تفعل كذا، ما رأيك...). إن الأمومة إدارة حسنة، لذلك فإن هذه النظرية مفيدة جدا في التفكير في كيفية حث الأبناء على التصرف بالطريقة التي تريدينها. بدلا من التحدث عن المديرين المؤيدين لنظريتي إكس وواي، فينبغي التحدث عن الأمهات المؤيدات لنظريتي إكس وواي. إن لهذين النوعين من الأمهات رأيا مختلفا فيما يتعلق بكيفية حث أبنائهن على التصرف بطريقة صحيحة (ميتشل، 2011، ص 203) واستنهاض عافيتهم بأفكار سديدة.

تعتقد الأم المؤيدة لنظرية إكس أو واي ما يلي:

تعليقات	واي	إكس
التصور الذهني عن إمكانيات الأبناء يؤثر في طبيعة العلاقة بين الأم وابنها. كلما أصبحت التصورات إيجابية أمكن الاقتراب إلى نفسية الطفل وتأسيس علاقات اجتماعية متينة وتشجيع استجابات وانفعالات متوازنة عاطفيا وذهنيا واجتماعيا.	<ul style="list-style-type: none"> • أن الأبناء يريدون إرضاء أمهاتهم. • أن الأبناء يتسمون بالأبداع ويحبون حل مشكلاتهم بأنفسهم. • أن الأبناء يحبون تحمل المسؤولية ويحبون أن يتم إشراكهم في حل المشكلات. 	<ul style="list-style-type: none"> • أن الأبناء لا يحبون عمل أي شيء ويتجنبون فعل أي شيء مهما حدث. • يحتاج الأبناء إلى الضغط والمراقبة من قبل الأم لأداء المهام. • يحتاج الأبناء إلى التوجيه ويحتاجون أيضا

		لأسلوب التهديد والوعيد والإجبار للقيام بالأشياء.
--	--	--------------------------------------------------------

النظام الأسري مفتاح الإنتاج والإنجاز والتواصل السليم. إن التوجه العقلي الخاص بالأمهات المؤيدات لنظرية "واي" هو الأكثر أهمية وخاصة حينما نفكر في كيفية تعليم أبنائنا كيفية اتباع السلوكيات الحسنة والتصرف بطريقة صحيحة. إن أبنائنا "لا يكسرون القواعد لأنهم سيئون بطبيعتهم، ولكنهم يفعلون ذلك لأن ذلك شيء طبيعي؛ حيث أنهم يتسمون بالإبداع والذكاء وحب الاستطلاع. فهم يقومون بتجاوز الحدود ليعرفوا سواء أكانت حقيقة أم لا. وسيتأكد الابن أن الحدود التي وضعتها والدته حقيقية إذا قام بتجاوزها ليعلم ما النتيجة التي ستعود عليه من جراء ذلك. إذا اتبعت الأم أسلوب الثواب والعقاب في تربيتها لأبنائها فيما يتعلق بالحدود التي تضعها لهم، فإن ذلك يجعلهم يشعرون بالأمان ويشجعهم على تحمل مسؤولية تصرفاتهم" (ميتشل، 2011، ص 204). قال إبراهيم بن أدهم، قال لي أبي: "يا بني، اطلب علم الحديث النبوي الشريف، فكلما سمعت حديثا، وحفظته، فلك درهم فطلبت الحديث على هذا". وهكذا بدأ الغلام بالترغيب والثواب كي يجب تعلم دراسة الحديث النبوي الشريف حتى صار من نجباء الأبناء وعظماء العلماء.

لا يكفي أن نطلع على النظريات التربوية الحديثة بل يحسن بنا استخدامها وتوسيع إطارها وتطوير آلياتها في أنفسنا أولا ثم في بيئاتنا الأسرية لاستمطار الأفكار الجديدة في توثيق عرى المحبة بين الأم الرؤوم وبين ابنها المتلهف للعاطفة المترنة والحياة الكريمة. ومن عمل بما يعمل علمه الله مالا يعلم وفتح له أبواب الاستبصار الذهني وأوصد أبواب الجمود.

تكوين السلوك والبلوغ والصدقات

كيف تتعامل مع المراهق

- الأجواء المشتركة المريحة بين جيل الشباب وجيل الكبار يهيئ لهم من أمرهم رشدا ويساعدهم عمليا في أن يتحملوا مسؤوليتهم في رعاية مصالحهم باستحقاق وجدارة. هذا التأهيل التربوي تظهر ثماره اليانعة بعد أن يكتمل نضج العلاقة المتناغمة بين الجيلين ويتشرب الشباب معاني الحياة ودروسها.

- تحويل مشاعر الأم إلى فعل أو كلام وهو ما يسمى بالتعبير عن المشاعر (Feeling Talk) الإيجابية حيث تجلس معه وتشعره أنها حزينة على حالة، وأنها تدرك أنه غير مرتاح في هذا الوضع وهي تشاركه في ذلك وتشجعه على البدء في محاولة إيجاد حل لمشكلته.
- التوقف عن معاملة الابن على أنه الابن الوحيد المدلل الذي لا يرد له طلب، وعلى الأم أن تعتذر عن تلبية طلباته وبخاصة غير المعقولة. تجاهل طلباته أو كلامه السلبي مع التأكيد على عدم تجاهله هو ك شخص. تتحدث إلى أصدقائه أو أقربائه الذين يستطيعون تشجيعه وإخراجه من البيت والمشاركة ببعض الأنشطة الاجتماعية والرياضية التي تخرجه من عزله.
- الاستماع له والإصغاء إن جاء يريد الحديث ومحاولة حل مشكلاته بطريقة حوارية تشاركية (زايد، 2010، ص 135).

- الإقناع الفكري والمشاعر الإيمانية جناحان لتربية متوازنة لا سيما مع الشاب الذي شب عن الطوق وأخذ يخطو خطواته الأولى نحو الرشده.
- الوقوف عند الحدود الشرعية وعدم التهاون بها والتوقف الفوري عن المعصية بدون إمهال ولا تأخير. التربية الوقائية أسسها التدرج أما التربية العلاجية فالأساس فيها الحزم والعزم على وجه السرعة ولا مجال للتراخي.
- بشاشة الوجه وسيلة ليصبح الفرد كثير الأصدقاء قليل الأعداء فالصداقة حسن معاملة كما قال أبو العتاهية:

عَامِلِ النَّاسَ بِرَأْيِ زَفِيقِي، وَأَلْقَ مَنْ تَلَقَى بِوَجْهِ طَلِيقِي
فَإِذَا أَنْتَ جَمِيلُ الثَّنَاءِ، وَإِذَا أَنْتَ كَثِيرُ الصَّدِيقِي

يحتاج الطفل والمراهق إلى أن يجتهد في تجويد أعماله وعلى الأم أن تشجع البذل وإن كان النتائج يشوبها النقص. المطلوب من الناشئة في المقام الأول هو بذل الوسع وأداء الأعمال بمحدود قدراتهم "وما لا يدرك كله لا يترك كله". أي لا نترك العمل بما نستطيع بل نبذل جهدنا وإن لم يتيسر لنا إتمامه على الوجه الأكمل. ومن الأمثلة العالمية: "نصف رغيف من الخبز خير من فقدان الخبز"، ومن الأمثلة الشعبية الكويتية "العوض ولا القطيعة"، نأخذ القليل خير من لا شيء. عندما لا نستطيع قراءة كتاب ما بأكمله لضيق الوقت مثلاً فإننا نقرأ ما تيسر فذلك خير من عدم قراءته. قال الشاعر:

إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَطْعَ أَفْرَأَ فَدَعْهُ وَجَاوِزُهُ إِلَى مَا تَسْتَطِيعُ

من أسس القيادة السليمة تقديم الإرشادات في دائرة الممكّنات ووفق خطوات متدرجة. إن الطلبات المثالية والتحفيز الزائد عن اللزوم، والطلبات الخيالية من أسباب ترك البذل والإحباط ولكي نطاع فعلينا أن نطلب من الأبناء بذل المستطاع.

لا صداقة بلا حوار

ليس بمقدور أحد أن يرتاب في أهمية الحوار في النهوض بالتواصل الأسري. الحوار حديث بين شخصين أو أكثر، والغاية من الحوار المجدي مع الطفل والمراهق هو الحوار الذي يصل لمقاصده، ويحقق المطلوب، ويغرس القيم الأساسية لفهم أعمق لملامح الحياة وقضاياها الكبرى؛ الأم، والصبر، والحب، والكفاح، والإيمان بالله سبحانه، والطلاق، المرض، والوفاة، والسعادة، والصداقة. تعطي الحوارات الطفل الشفافية في التعبير وتحرره من الكبت والكتمان وتعبه الثقة بوالدته وتشعره بالأمان، والحب، والصدق، والاحترام، والراحة، والمسؤولية، وقيمة ذاته. الحوار بين الأم وابنها ليست قضية ثانوية كمالية بل هو صمام أمان لصداقة دائمة تعطي ثمارها كل وقت وعلى أكمل وجه {تُوْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} (إبراهيم: 25). عندما يهضم طفلك المعاني السابقة مع الوقت يقدر تربيتك له ويدرك قيمة الحوار داخل البيت الذي نشأ فيه واستنشق عبر الحوار الذي شحذ ذهنه، وهذب روحه. وعلى هذا النحو فإن الحوار أخصب أرض للصداقة ولهذا يوصي خبراء التربية والتوجيه والإرشاد بتخصيص أوقات للحوار وأن أول مهام المحب تجاه ابنه أن ينصت.

الحوار سبيلنا نحو صداقة تتيح لنا فرص التربية والتعليم على نحو غير مباشر لإيقاظ الضمير الأخلاقي والحس الديني وتوسيع الثقافة الحياتية. "يخضع الضمير الأخلاقي الفطري لأصول التربية وقواعدها، إذ هو قابل للتنمية بممارسة عواطف الخير، وبدراسة كمال فضائل الأخلاق، وما تعطيه من ثمرات فردية واجتماعية - عاجلة وآجلة - ومواعظ الهداية الدينية والنصائح والوصايا الربانية، وبوسائل الترغيب والترهيب، والقُدوة الحسنة، وقصص البطولات الأخلاقية، وغير ذلك من وسائل تربوية" (الميداني، 2008م، ج1، ص78).

"كثير من الأسر لا يجري فيها حوار جيد؛ لأن الآباء فيها متأثرون بطريقة تربية آبائهم لهم حيث كان الحوار في الماضي شبه معدوم" (بكار، 1430هـ، ص28). "وأكدت الدراسات العلمية أن أكثر من 80% من مشكلات المراهقين في عالمنا العربي نتيجة مباشرة لمحاولة أولياء الأمور تسيير أولادهم بموجب آرائهم وعاداتهم وتقاليدهم ومجتمعاتهم، ومن ثم يحجم الأبناء عن الحوار مع أهلهم؛ لأنهم يعتقدون أن الآباء إما أنهم لا يهتمهم أن يعرفوا مشكلاتهم، أو أنهم لا يستطيعون فهمها أو حلها" (موسوعة الأسرة، ج5، ص543).

من المهم قضاء وقت للحديث مع أطفالنا "ويوجد لدى شارلي شيد سر آخر قد يُفلح معك في المنزل. عندما بدأ الأطفال في الكبر اعتاد أن يصطحب واحدا منهم مرة كل شهر لتناول العشاء، ويكون على الطفل اختيار المطعم، وبعد الانتهاء من العشاء يذهب مع الطفل لأحد المتاجر ويشترى له شيئا جديدا، ويقول شيد إن أطفاله عندما وصلوا إلى سنوات التوقع (وهي بداية مرحلة المراهقة حيث لا يتحدث الأطفال مع أفراد العائلة إلا قليلا)، وحتى في هذه المرحلة استمروا في الاستمتاع بتلك الحوارات المنتظمة. ويقول لنا: وأحيانا ما أقف أما الحجرة التي يقفلها طفلي على نفسه وأقول له: هذا هو يوم السبت المخصص لخروجنا! ألا تريد الخروج معي؟ وهل تصدقون ما كان يحدث، لم يرفض أي طفل الخروج مطلقا" (ماكجينيس، 2007م، ص 145).

إذا أراد ابنك التحدث لا تستمري في إلقاء الأسئلة عليه وإذا كان متضايقا تجنبي الهزل أو الابتسام كي لا يشعر بأنك لا تهتمين بمشاعره.

الصواب أن صداقتي من أهم عناصر تعليم ابني وتحليصه من الأفكار الخاطئة لأن الحوار في النسيج الأسري يفتح أبواب الأخذ والعطاء، والتعلم والتعليم رغم فارق العمر واختلاف الطباع. يقول أحد الآباء "لقد أكرمني الله بالأبناء أتمتع بصحبتهم وأتجاوز معهم ولنا مجالس يطول فيها الحديث وقد أصبحت في وجودهم متعلما منهم بعد أن كنت معلما لهم" (الرشيدي، الجناعي، 2011م، ص 12). "وعندما يختفي الحوار تضعف الصداقة بيننا وبين الأبناء، ويختفي الصدق والصراحة بيننا وبينهم، ولا نعلم عن مشكلاتهم شيئا، ونترك مكاننا شاغرا لهم للبحث عن بديل، مناسبا كان أو غير مناسب" (عبدالجواد، 2005م، ص 61). الصديق الحميم هو الذي يستفيد من الحوار وطول المجالسة ويعاتب نفسه ويحاسبها أو كما قال الشاعر:

ما عاتب المرء الكريم كنفسه والمرء يصلحه الجليس فيصلح

ولا بد من تجنب الجدل العقيم وترك النقاش السقيم لأن المرء يفسد الصحبة ويعكر صفو الأسرة، ويكسب البغضاء وهو أسوأ داء. قال السلف الصالح "المرء يفسد الصداقة القديمة، ويحل العقدة الوثيقة، وأقل ما فيه أن تكون المنافسة والمغالبة، والمغالبة أمتن أسباب القطيعة... لا تُمار أخاك فإما أن تُعْضِبَهُ وإما أن تُكْذِبَهُ". ولهذا قال داود لابنه: يا بني إياك والمرء فإن نفعه قليل وهو يهيج العداوة بين الإخوان. وقال بعضهم: ما رأيت شيئا أذهب للدين ولا أنقص للمروءة ولا أضيع للذة ولا أشغل للقلب من المخاصمة. إذا رأيت الرجل لجوجاً مرأياً معجباً برأيه فقد تمت خسارته... ما ضلَّ قوم بعد أن هداهم الله إلا أتوا الجدل. وفي الحديث الشريف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي

رَبِضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبَيَّتِ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكُذِبَ وَإِنْ كَانَ مَارِحًا، وَبَيَّتِ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ" (رواه أبو داود).

هناك مناسبات كثيرة ومهمة يمكن استثمارها لإيجاد مساحات حوارية ذات فائدة كبيرة ومنها عند عودة الابن من صلاة الجمعة حيث يمكن من حين لآخر أن يدور الحديث بين الأم وابنها عن أهم عناصر الخطبة بصورة موجزة. تقول إحدى البنات كان هدي والدي معي أنه ينقل لي طرفا من مواعظ خطبة الجمعة ولأني اعتدت هذا الأمر معه ومع إخواني أصبحت اليوم أسأل زوجي عن موضوع الخطبة في كل جمعة تقريبا لا سيما ونحن ذاهبون لتناول وجبة الغداء في منزل والد زوجي فتتجاوز في طريقنا لبضعة دقائق".

ومن المواضيع المحمودة لتوسيع نطاق الثقافة الأسرية اغتنام فرصة الاطلاع على كتاب فعندما ينتهي الطفل من قراءة كتاب معين يمكن محاورته حول الفوائد التي استفاد منها، وحينئذ تصبح المسارات الحوارية منابع ومنابر فكرية.

ونصح بأن تخرج الأم مع ابنها إلى دار السينما للاستمتاع بمشاهدة فيلم من الأفلام المتميزة فإن الحوارات النقاشية التحليلية عن أحداث الفيلم من شأنها أن تنمي الملكة النقدية عند الناشئة وتولد اهتمامات مشتركة واتجاهات متقاربة وحاسة حوارية. يقول أحد الأولاد "دخلت مع والدي وإخواني وأختي إلى قاعة السينما لمشاهدة فيلم كوميدي اسمه (Mr. Popper's Penguins) ثم ذهبنا بعدها مباشرة للصلاة في المجمع حيث صلى النساء ومصلى الرجال وبعدها تناولنا وجبة العشاء معا وأثناء ذلك بدأ إخواني في استخراج بعض الفوائد الحياتية والجوانب القيمة المستفادة من الفيلم الذي نال إعجابنا جميعا. وكان أن تحدثنا عن قيمة التفاعل العاطفي في تدعيم أركان الحوار وأن الأب ليس وظيفته دائما أن يحل مشاكلنا إذا تجاوزنا معه لكنه يحتاج أولا إلى أن يستمع ويقدر ما نقوله ويتفاعل عاطفيا مع مشاعرنا كأبناء وبنات. وأثناء ذلك عبر كل واحد منا عن المشهد الأكثر إثارة واللقطة الأفضل فكاهة بالنسبة له... وتجاوزنا في أهمية الإنترنت في البحث لا سيما إذا واجهتنا العوائق في حياتنا اليومية كما فعل بطل الفيلم لمعرفة عالم البطريق ذلك الطير البحري الماهر في السباحة لكنه لا يطير". تعلمت الأسرة في تلك الأمسية أن الحياة كلها مدرسة نتعلم منها المفيد وتجنب الضار وأن الحوار يجمعنا وأن الفكاهة وسيلة تربوية راقية تسعدنا وتعلم منها.

إن الوظيفة الأساسية للحوارات الأسرية إيجاد التماسك والتفاهم والاحترام المتبادل بين جميع أفراد الأسرة وقضاء وقت ممتع وحينها تصبح الحوارات مادة مفيدة ولذة دائمة تدعم أواصر صداقتنا. هذه الوظيفة صمام أمان للأسرة والمجتمع فقبل أن تنمو الأفكار الشاذة والميول العدوانية والاتجاهات المتطرفة في نفوس أبنائنا وقبل أن تعشش في مشاعرهم وعقولهم الانحرافات نعالجها برحيق الحكمة وبريق البصيرة

والمهم أن الدفء الأسري يصل لحواراتنا. إن الحوارات الحرة تعصم الجميع من مفاجآت أليمة للأسرة التي تقوم بتفعيل الحوار في محيطها تعالج الأخطاء في بداياتها فتناقش الشاب قبل أن ينحرف وينحرف مع الأوهام التي تزين له السوء فيتصور الطيش حبا، والتهور عشقا، والعلقم عسلا.

الترويح واللعب ربيع الأطفال

الترويح له أثر عميق في النفس والسلوك، وفي تكوين العلاقات المتينة، والترويح الحسن يقرب بين القلوب ويزيد المحبة بين الأرواح ويهيج الوجدان نحو التنعم مباهج الحياة. وفي التربية الإسلام فإن الترويح الصحيح من صور العبادة والابتسامة صدقة، وإدخال السرور على القلوب من أعظم وجوه العمل الصالح. وفي الحديث الشريف: "إِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بَعْدَ الْفَرَائِضِ إِدْخَالُ السُّرُورِ عَلَى الْمُسْلِمِ". يلعب الترويح دورا كبيرا في تنشيط الإنسان وإيقاظ الاستعدادات والمدارك وطرده الملل والجمود كما أن الترويح والمزاح اللطيف من خير وسائل الاتصال بالآخرين على سبيل المرح. روي عن الحسن بن علي بن أبي طالب عن الحسن، أنه دخل منزله وصبيان يلعبون فوق البيت ومعه عبد الله ابنه فنهاهم فقال الحسن: دعهم فإن "اللعب ربيعهم".

لا تزدهر حديقة الصداقة الأسرية إلا بروح المداعبة مع الصبي والتصابي له من حين لآخر، فلمداعبة ولين الجانب وحلاوة المعاشرة من أهم مفاتيح الانضباطية التربوية الفاعلة ومن أسرع طرق كسب رضا الطفل والتأثير فيه والتقرب منه. عرف العرب ذلك فصاحبوا الأبناء وأحاطوهم بالحب والهناء ولقد كانت أعرابية ترقص ابنها قائلة:

أَحَبُّهُ حَبِّ شَحِيحٍ مَالِهِ قَدْ ذَاقَ طَعْمَ الْفَقْرِ ثُمَّ نَالَهُ

والتربية العربية الأصيلة قررت مبدأ اللعب الأسري من زمن بعيد فجاءت أمثالهم العربية المأثورة تؤكد على أن "كلُّ امرئٍ في بَيْتِهِ صَبِيٌّ" أي يَطْرُحُ الحِشْمَةَ ويتنازل عن بعض القيود ويقلص المسافات، ويستعمل الفكاهة ويضرب هذا المثل في حُسْنِ المعاشرة، وطيب التعامل.

ومنذ العصر النبوي نجد بجلاء الحث على لعب الأطفال، وفي المأثور "يَا عَلَامُ اذْهَبِ الْعَبِّ"، و"عُرَامَةُ الصَّبِيِّ فِي صِغَرِهِ زِيَادَةٌ فِي عَقْلِهِ فِي كِبَرِهِ". والعُرَامَةُ: الحيوية والحركة والنشاط في اللعب: "وأن الصحابة اقتداءً بالنبي صلى الله عليه وسلم وتقديراً لأهمية اللعب التربوية كانوا يدفعون أطفالهم إلى اللعب ويشجعونهم عليه، وكان عروة بن الزبير يقول لولده: "يا بني، العبوا فإن المروءة لا تكون إلا بعد اللعب"، وعن مغيرة بن إبراهيم قال: كان أصحابنا يرحِّصون لنا في اللعب كلها، أي: للصبيان، ومر ابن عمر بالطريق بغلطة يلعبون فأخرج درهمين فأعطاهم؛ تشجيعاً لهم على نشاطهم في اللعب (اللجنة الإسلامية العالمية للطفل، 2011م).

يقول محمد فتح كولن عن التربية النبوية "كان يعامل أولاده وأحفاده بحنان كبير، ولم يكن ينسى وهو يعطي كل هذا الحنان أن يوجه أنظارهم إلى الآخرة وإلى معالي الأمور. كان يضمهم لصدره ويبتسم لهم ويداعبهم، ولكنه في الوقت نفسه لم يكن يغض طرفه عن أي إهمال لهم حول شؤون الآخرة، وكان في هذا الأمر واضحاً جداً وصريحاً جداً، ووقوراً ومهيباً وجاداً فيما يتعلق بصيانة العلاقة بينه وبين خالقه. فمن جهة كان يعطي الحرية لهم ويرشدهم إلى طرق العيش بشكل يليق بالإنسان، ومن جهة أخرى كان لا يسمح بانفلات الانضباط أو سلوك طريق اللامبالاة. ويبدل كل جهوده وبكل دقة لمنع إصابتهم بأي تعفن خلقي، ويهيئهم لعوالم علوية وللحياة الأخروية. وفي أثناء هذه التربية كان الرسول صلى الله عليه وسلم يحذر من الوقوع في الإفراط أو التفريط، بل يختار الطريق الوسط ويمثل الصراط المستقيم. وكان هذا بُعداً آخر من أبعاد فطنته."

المزاح كسب للأرواح وباب ترويح لأهل الألباب. كتب علماؤنا عن أهمية إدخال السرور على النفوس ودوره في توثيق المحبة وتنمية العقول. "وَقَدْ قَالَ عَلِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ تَمَلُّ كَمَا تَمَلُّ الْأَبْدَانُ، فَابْتَغُوا لَهَا طَرَفَ الْحِكْمَةِ". وَمَنْ تَزَلَّ أَفْضَلَ النَّاسِ وَأَكَابَرَهُمْ تَعْجَبُهُمُ الْمَلْحُ، وَيُؤْثِرُونَ سَمَاعَهَا، وَيَهْشُونَ إِلَى الْمَذَاكِرَةِ بِهَا، لِأَنَّهَا جَمَامُ النَّفْسِ وَمَسْتَرَاخُ الْقَلْبِ، وَإِلَيْهَا تَصْغِي الْأَسْمَاعِ عِنْدَ الْمَحَادَثَةِ، وَبِهَا يَكُونُ الْاسْتِمْتَاعُ فِي الْمُوَاسَاةِ... قَالَ الْأَصْمَعِيُّ "النُّوَادِرُ تَشْحَدُ الْأَذْهَانَ، وَتَفْتَحُ الْأَذَانَ". وَعَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: "يَا بَنِي! تَعَلَّمُوا الرِّمِيَّ، فَإِنَّهُ مِنْ خَيْرِ لُغَيْكُمْ"، وَقَالَ: "ارْمُوا، فَإِنَّ الرِّمِيَّ عُدَّةٌ وَجَلَادَةٌ". لقد كان سلفنا الصالح يحبون المزاح ولكنهم لا يفرطون بعبادتهم ولا يتكاسلون في واجباتهم وقد قال أحدهم وهو يمدح مزاحهم وضحكهم "فَإِذَا كَانَ اللَّيْلُ كَانُوا زُهَبًا نَائِبًا".

ذم علماؤنا خطورة المزاح الهابط، والترويح المؤذي، واللعب المؤذي للانحراف فالمزاح الهابط يريق ماء الوجه ويسقط المهابة ويستجر الوحشة ويؤذي القلوب وهو مبدأ اللجاج والغضب والتضارب ومغرس الحقد في القلوب. المزاح المنهي ما فيه إفراط ومداومة فإنه يورث الضحك والقسوة ويشغل عن الذكر والفكر في مهمات الدين فيورث الحقد ويسقط المهابة والوقار وما سلم من ذلك هو المباح الذي كان المصطفى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم يفعله لمصلحة كمؤانسة وتطبيب نفس المخاطب وهذا لا منع منه قطعاً بل هو مستحب.

نشرت (CNN) دراسة تقول إن الاعتدال في اللهو بألعاب الفيديو ضروري لصحة الطفل النفسية، فالإفراط في اللعب بها قد يؤدي إلى الاكتئاب والقلق، وتراجع الأداء في المدرسة. ووجد الباحثون، أثناء إعداد الدراسة في الولايات المتحدة وخارجها، عقب دراسة 3 آلاف طفل في المرحلة الابتدائية المتوسطة في سنغافورة، أن قرابة 9 في المائة منهم "مدمنون" على ألعاب الفيديو، إلى جانب نسبة مماثلة في دول أخرى.

وعلى ضوء معطيات التربية الحديثة، "للطفل حق الاستمتاع بطفولته، فلا يُسلب حقه في الراحة، والاستمتاع بوقت الفراغ، ومزاولة الألعاب والاستحمام والمشاركة بحرية في الحياة الثقافية والفنية بما يتناسب مع سنه ويحفظ هويته، مع إبعاده عن وسائل اللهو المحرم شرعاً وقانوناً. تنص المواثيق الإسلامية المعاصرة على حق الطفل في الاستحمام، وفي الاستمتاع بأوقات فراغه بكافة صورته، وهو عامل تربوي فعال في تشكيل شخصية الإنسان في سنوات الطفولة" (اللجنة الإسلامية العالمية للطفل، 2011م، بتصرف).

وفي سن السابعة يدرك الطفل أهمية الصداقة على نحو أعمق وينطلق نحو اللعب الجماعي ويعرف قوانين بعض الألعاب وفي هذا السن يميز بين الصواب والخطأ ويتمكن من مهارات القراءة والكتابة (Meggitt, 2007, P. 105). فوائد اللعب التربوية كثيرة إذ يفسح اللعب المجال للطفل كي يتعلم متفاعلاً مع موضوع التعليم، مستكشفاً وملاحظاً ومجرباً، فيتعلم شيئاً من فنون الحياة، ويغدو اللعب خبرة تربوية منظمة ومدخلاً لتعلم فعال، إذا وُظفَ توظيفاً مناسباً للطفل. وهناك فوائد إبداعية: إن مناخ الحرية الذي يسيطر على اللعب والمرونة التي يتسم بها ولاسيما اللعب التخيلي، وقلب الأدوار ومخالفة المؤلف يشجع الإبداع، والخروج من نطاق الأطر الجامدة للتفكير، فاللعب من هذه الناحية يساعد الطفل على تنمية الخيال المبدع، وعلى اكتشاف نفسه وقدراته ومكانته في جماعته. وقد نادى كبار المصلحين التربويين مثل كومينيوس Comenius وروسو Rousseau وبستالوتزي Pestalozzi وفروبل Froebel بالأخذ بميول الطفل وأهمية اللعب في التعليم" (الموسوعة العربية، 2004م، لعب، باختصار).

وامتداداً للسياق السابق ولتقديم المزيد من الأمثلة التطبيقية من رحيق حياة الصالحين نجد طريقة الموفق ابن قدامة مع تلاميذه وأولاد يقوم على أساس اللعب وجميل المشاعر. قال عنه أحد العلماء: كَانَ الْمُؤَفَّقُ لَا يُنَاطِرُ أَحَدًا إِلَّا وَهُوَ يَتَبَسَّمُ... وَكَانَ لَا يَكَادُ يَرَاهُ أَحَدٌ إِلَّا أَحَبَّهُ... وَمَا عَلِمْتُ أَنَّهُ أَوْجَعَ قَلْبَ طَالِبٍ، مَا رَأَيْتُ أَكْثَرَ احْتِمَالًا مِنْهُ... كَانَ حَسَنَ الْأَخْلَاقِ، لَا يَكَادُ يَرَاهُ أَحَدٌ إِلَّا مُتَبَسِّمًا، يَحْكِي الْحِكَايَاتِ، وَيَمْزَحُ... كَانَ فِي الْقِرَاءَةِ يُمَارِحُنَا، وَيَبْسِطُ، وَكَلَّمُوهُ مَرَّةً فِي صَبِيَانٍ يَشْتَعْلُونَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: هُمْ صَبِيَانٌ، وَلَا بُدَّ لَهُمْ مِنَ اللَّعِبِ، وَأَنْتُمْ كُنْتُمْ مِثْلَهُمْ. الفقرة السابقة تتضمن أركان التعامل السليم مع الطفل؛ توفير الحب والحنان، عدم جرح وجدان الطفل، الصبر، الاستعانة بالابتسام دائماً، رواية الحكايات، الاستعانة باللعب والمرح والمزاح، حُسن الأخلاق، التدريس، الواقعية. إن الفقرة السابقة عن ابن قدامة مادة ثرية يحتاج الآباء والأمهات إلى دراستها، والتعليق عليها، والاستنباط منها لما تحتوي عليه من دقائق التربية القويمية في التعامل مع الأطفال لتصبح صداقتهم سعادة، وتربيتهم عبادة.

قد يغفل الكبار في زحمة الأعمال وكثرة الأعباء أن المزاح وسيلة فعالة للهداية والمعرفة والانتفاع والتواصل. خروج الأم مع ابنها للعب في أماكن الترفيه مناسبة يمكن استغلالها بحصافة في تمرينه على

أخلاقيات حياتية كثيرة فجميع الألعاب الرياضية والترفيهية تقوم على أرضية أخلاقية أساسها حب البذل، والحرية، والفهم، والتضحية، والتعاون، وتحمل المسؤولية الفردية ورعاية المصلحة الجماعية وهي قيم لا نستغني عنها في حال من الأحوال. الترويح أداة أصيلة وعصرية لبث القيم وترويح والأخلاق المستقيمة. لقد جعل الإسلام الترويح طريقاً للتربية والتعليم والهداية.

لكي تصبحي صديقة قريبة لابنك فعليك التحلي بروح الدعابة والإحساس بمشاعره، وحسن الاستماع، والدفء الشخصي وتقبل النقد والاعتراف بالخطأ وتقبل نفسك بعيوبك ومزاياك (هاينز، 2009م، ص 1). هذه الخصائص تبعث النفس على التقرب من الآخرين بما يحقق الإشباع النفسي والاندماج الاجتماعي. إن الاستماع الإيجابي أعظم لبناء علاقات إنسانية راقية.

وفي المقابل فإن الوجوه العابسة في البيت الباسمة خارجه نسخة مبكية مخزنة في آن واحد لمن عرك الحياة وأدرك تناقضات الواقع في بعض البيوت. ولا شك أن القسوة في معاملة الولد أو البنت مخيبة للهمة، مثبتة للعزيمة، محبطة للفطنة، مؤدية للمذلة، باعثة على الرياء، مدمرة لعلاقات الصداقة الأسرية بل تنسفها نفساً.

"وقد أخذ الخلفاء والصحابة رضي الله عنهم بنهج النبي صلى الله عليه و سلم في الترفق بالأطفال وأخذهم باللين، والشفقة والعطف، فأمر المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي يهابه عظماء الرجال تأخذه الرقة واللين بالأطفال، ويستنكر الغلظة والشدة في معاملتهم، ويعتبر ذلك من الأمور المخلة بأهلية الإنسان في الولاية على الغير. فقد دخل عليه أحد عماله وولاته فوجد عمر مستلقياً على ظهره وصبيانه يلعبون حوله فأنكر عليه سكوته على لعب الأطفال من حوله، فسأله عمر: كيف أنت مع أهلك؟ فأجاب: إذا دخلت سكت الناطق، قال عمر: اعتزل عملنا فأنت لا تصلح لذلك، فإنك لا ترفق بأهلك وولديك فكيف ترفق بالمسلمين؟ فالخليفة الراشد يضرب مثلاً في حسن معاملة الأهل والولد والسعي في إدخال السرور عليهم، ليتربوا تربية حسنة بعيدة عن الخوف والجن وبظهورهم بمظهرهم الطبيعي حتى يمكن تقويمهم وتهذيبهم، وتشجيعهم وتكريمهم إن أحسنوا. وقد عزل أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه هذا الوالي لجفائه وشدته وقسوته وغلظته مع أقرب الناس إليه من الأهل والأولاد؛ لأن من يفعل هذا مع أسرته يكون مع الناس أشد جفاء وغلظة وقسوة في المعاملة، لقد كان أمير المؤمنين خير مثل في الرفق والعدل وحسن السياسة وسداد الرأي (صالح، 2006م، بتصرف يسير).

وامتداداً لما تم بيانه، فإن الاحتفال بالمناسبات السارة والأعياد فرصة ثمينة لترسيخ معاني الصلة والصداقة مع فلذات الأكبادة. اللعب بشكل مسل ومنتظم، ووظيفة الطفل الأساسية فإغتنام المواقف السارة للاقتراب من قلوب الأبناء مهارة غاية في الأهمية ومن المحزن أن تمر الأعياد تلو الأعياد ونستقبلها على نحو رتيب ولا نجد في طريقة استقبالها ولا نستثمر عبير عطرها وبذلك نفرط بعظاتها ونفوت فرص

التجديد الاجتماعي. الإسلام دين فيه سعة ويكره تجديد الأحزان ومن الحكمة أبعاد الطفل عن مواقع الحياة وإتاحة الفرصة الكاملة له للاستماع بأوقاته وتمرنه بالتدريج على فهم نوائب الدهر، وزيارة المرضى، وعزاء الأقارب فلكل مقام مقال.

ومن أفضل نصائح التربية تلك النصيحة الغالية للغزالي حيث يطلب من رب الأسرة أن يروح عن نفس الطفل لا سيما بعد الانتهاء من عناء الدرس والمذاكرة وبعد الخروج من أسوار المدرسة. قال الغزالي "وينبغي أن يؤذن له بعد الانصراف من الكتاب أن يلعب لعباً جميلاً يستريح إليه من تعب المكتب بحيث لا يتعب في اللعب، فإن منع الصبي من اللعب وإرهاقه إلى التعلم دائماً يمت قلبه ويبطل ذكائه وينغص عليه العيش، حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأساً. وينبغي أن يعلم طاعة والديه ومعلمه ومؤدبه وكل من هو أكبر منه سنّاً...". وقال الغزالي عن فلسفة الترويح عن النفس "ترويح النفس وإيناسها بالمجالسة والنظر والملاعبة إراحة للقلب وتقوية له على العبادة، فإن النفس ملول وهي عن الحق نفور لأنه على خلاف طبعها، فلو كلفت المداومة بالإكراه على ما يخالفها جمحت، وإذا روّحت بالذات في بعض الأوقات قويت ونشطت قال علي رضي الله عنه: روّحوا القلوب ساعة فإنها إذا أكرهت عميت» (باختصار).

يبدل أولادنا وبناتنا جهداً كبيراً في المدارس وحاجتهم للترويح المعتدل تكون مؤكدة كلما تراحمت عليهم الواجبات وزادت الفروض فإن كثرة العمل الجاد مانعة للحركة، ومذهبة للنشاط، وتورث الملل. إن اللعب والترويح بصحبة الأم له مذاق خاص حيث تقترب الأم من ابنها وتشعره بالتوافق الاجتماعي والراحة النفسية عبر دعاية حلوة ذكية تؤنس وحشته، وتزيل تعاسته.

الصدقة العقلية والقراءة

يعتقد الكاتبون في مجال العلاقة التواصلية بين الآباء والأمهات أن زيارة المكتبة وسائر الأنشطة الثقافية لها دورها في توثيق العلاقة الاجتماعية الأسرية (Fuller, C & Plum, 2010, p. 103). قال فكتور هيجو الفرنسي "من الممكن مقاومة غزو الجيوش، ولكن ليس من الممكن مقاومة الأفكار". الشراكة في الفكر قوة هائلة لا يمكن تصور مداها في محيط الثقافة والقرابة والصدقة. الفكر جسر يؤدي لجميع الفضائل ويوصل إلى كافة مباحج الحياة. الفكر أدواتنا لتربية مستنيرة تجمع جيل الشباب بجيل الكبار. ومن أهم الوسائل التربوية لتنمية الفكر القدوة، والحوار، ومطالعة الكتب، وتدبر كتاب الله سبحانه.

الأم المربية هي التي تؤمن بأهمية الفكر في الاختيار ودوره في تعمير الحياة وإغناء العلاقات الاجتماعية. ولعل العاطفة المنحرفة والشفقة السلبية هي التي تجعل الأم تقوم بعمل الفروض المدرسية لابنها بينما هو يلعب. السبب وراء تلك المسلكيات الخاطئة الكسل أو الجهل بالتداعيات السلبية لهذه

الأفعال. الهدف من الواجبات المدرسية أن يقوم الطفل بأدائها ولا مانع من الاستعانة بالأُم للإرشاد لا لإتمام العمل المدرسي بنفسها. الواجبات المدرسية مهمة ينفر منها الناس ويكرهها كثير من أولياء الأمور ولكن يمكن للأُم أن تجعلها مدخلا لبناء علاقة فكرية بينها وبين ابنها.

جميل أن تربطنا وشائج الدم ومن الأجل أن تنصهر في بوتقة الصداقة العقلية فعندما نذهب للمتحف أو المكتبة أو السينما أو معرض حر للرسومات وعند قراءة القصص... هذه الأنشطة وغيرها يحصل منها تكوين مشاعر وروابط تقرب العقول من بعضها البعض حتى تصبح متعة ذهنية ولذة روحية بين الأُم وابنها تخلدها الأيام والليالي.

وتلعب الأسرة دورا مهما للغاية في التعليم لهذا يقول محضير محمد رئيس وزراء ماليزيا: فأنا مدين في تربيته وتعليمي لوالدي، "فكلاهما كان حازما قويا وحريصا على التعليم، أحببت القراءة منذ الصغر، وعندما كنت في الصف الرابع كنت أمينا لمكتبة الفصل، كنت أشتري مجلات الفصل في العطلات الأسبوعية، وكنت أقرأ جميع القصص التي تنشرها المجلات، وربما قرأت أكثر من 30 قصة في العطلة الأسبوعية، وكانت المجلات تتناول الأفلام الغربية وقصص المغامرات والقصص البوليسية وقصصا عن الحرب العالمية الأولى، كنت أمضي معظم وقتي في القراءة... كانت الحياة مدرسة ومنزلا، وهذا هو كل شيء" (محضير، 2004، ج 3، ص 22 23). قال كولن (2011م) "على كل أب وأم ملء رؤوس أطفالهما بالعلم والمعرفة من قبل أن يتم ملء هذه الرؤوس بما لا ينفع، لأن القلوب الخالية من الحقيقة، والأرواح الخالية من المعرفة بمثابة مزارع صالحة لإنبات كل الأفكار الضارة ولنمائها. ويكون الحصاد من نوع البذور التي بُذرت فيها."

ينصح بعض المربين باستحداث يوم القراءة الأسبوعي: في عطلة نهاية الأسبوع، قبل النهوض من الفراش وبدء اليوم، يبقى الجميع كل في سريره يقرأ في أحد الكتب. (ولقد أصبح من الشائع أن نقوم بهذا حتى عندما كبر الأطفال وأصبحوا يأتوا إلينا للزيارة!) (سمولي، 2010م، ص 109-110). يقول أحد الأطباء العرب "بينما أنا عائد يوما من هولندا إلى بلجيكا في القطار كان بجاني سيدة هولندية بمعية ابنها الصغير، فجأة طفق يبكي... ففتحت أمه حقيبة يدها وسلمت له كتابا، وراح الطفل يقرأ بحبوية وارتاح، وانقطع عن البكاء، واستغربت من هذه الحادثة لأنني ظننت أن الهولندية ستسلم ابنها الحلوى أو الكاكاو فإذا بها تقدم له زادا نفسيا لا ينضب معينه، وهو الزاد الفكري الذي يحتاجه أطفالنا كثيرا" (عبدالمعطي، 2007م، ص 180).

قال الجاحظ وهو يرشد إلى حب الكتب وفضلها في تهذيب الفرد وأنها خير ما يستطيع أن يقدم الأب لنجله والقريب لقربيه فقال "الكتب هي التي تزيد في العقل وتشحذه، وتداويه وتصلحه، وتهذبه، وتنفي الحُبث عنه... وتصادق بينك وبين الحجّة، وتعودك الأخذ بالثقة، وتجلب الحال، وتكسب

المال". "ومتى كان الأديب جامعاً بارعاً، وكانت موارثه كتباً بارعة، وآداباً جامعة، كان الولد أجدر أن يرى التعلّم خطأً، وأجدر أن يسرع التعلّم إليه". قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن قراءة الكتب: "إنّ في الدُّنيا جَنَّةَ مَنْ لَمْ يَدْخُلْهَا لَمْ يَدْخُلْ جَنَّةَ الآخِرَةِ، يَعْنِي الْكُتُبُ" (السفاري، 2002م). وهي سنّة التكوين، لأنها حاجة عقلية، تتحقق بتليتها متعة عظيمة، تماماً كمتعة سدّ الجوع، ومتعة النشوة النبيلة، في وقت مناسب، وبإرادة مستقيمة" (القيم، 2010م، ص 86). قال الحكماء "إن بيتا يخلو من كتاب هو بيت بلا روح". الصلة الروحية بالقراءة جعلت عبدالعزيز بن باز يقول "حب القراءة من النعيم المعجّل للمؤمن في الدنيا" (بكار، 2011م، 12). كان الأديب الفرنسي فيكتور هوجو يتحدث عن طفولته كثيراً قائلاً "قضيت طفولتي مشدود الوثاق إلى الكتب"، بمعنى أن سحر الكتب كانت تأسر لبه وتملك قلبه. إن حب القراءة نعمة وهبها الله لمن يشاء من الناس للاستمتاع بالاطلاع على جميع الثقافات عبر تفحص الإصدارات الفكرية النافعة وعندما تكون الأم بوابة لهذه العادة الحضارية فسكون قد صاحبت ابنها في كل سطر يطلع عليه ويرتقي به.

تتنافس الأمم في تعظيم القراءة لدى أطفالها على يد الأمهات. ومن أشهر القصائد المحبوبة للشعب الأمريكي كلمات الشاعر ستريكلاند جيليليان (Strickland Gillian) عن الأم القارئة حيث قال:

قد يكون لديك ثروة حقيقية مخفاة

علب مجوهرات، الجواهر وصناديق من الذهب

إلا أنك لن تكون أبداً أغنى مني

فقد كان لدي أم تقرأ لي

عندي أم تقرأ لي القصص (انظر مورو، 2004م، ص 62، بكار، 2011م، ص 34).

استناداً إلى كل المعطيات السابقة فإن الأسرة تستطيع أن تعلم الأبناء العادات الإيجابية في المذاكرة وأهمية التعلم، وفضيلته، وحق العلم ومراتبه، وتغرس فيهم حب وتقدير وتوقير الثقافة. الأسرة هي التي تشجع الطفل على وضع أهدافه المستقبلية، ومهنته المتوقعة، وتتابع تحصيله الدراسي، وتشرف على سلوكياته العامة، وبإمكان الأسرة أن تهيم الأجوأ الثقافية للفرد من خلال اصطحاب الأبناء إلى المكتبة العامة لاستعارة الكتب، ومطالعة المجالات، وعمل الأبحاث المدرسية كما تصحبهم إلى المعارض وتخصص لهم مبالغ مالية لشراء بعض الكتب التي يحبونها. حري بالأسرة أن تهتم بالقدوة الحسنة فالأبناء إذا شاهدوا أمهم تقرأ لمدة ربع ساعة يومياً على الأقل فإنهم بشكل أو بآخر سيقدرّون أهمية القراءة ويجاولون أن يقلدوا من هو أكبر منهم. وبذلك الصنيع الجميل توثق الأم علاقتها بابنها على نحو عملي يخدمه في تمكينه في حياته ورفع كفاءاته.

يعتقد الكاتبون في مجال العلاقة التواصلية بين الآباء والأمهات أن زيارة المكتبة وسائر الأنشطة الثقافية لها دورها في توثيق العلاقات الاجتماعية (Fuller, C & Plum, 2010, p. 103). إن الصحبة الصحيحة تحت الطفل على التزود من العلم فلا تضييع الأوقات بالتسوق في المجمعات التجارية، وأماكن الترفيه واللغو الذي لا طائل من خلفه، ولهذا قال الإمام علي رضي الله عنه:

حَرِّضْ بَيْنَكَ عَلَى الْآدَابِ فِي الصِّغَرِ كَيْمَا تَقَرَّ بِهِمْ عَيْنَاكَ فِي الْكِبَرِ
وَأَمَّا كَامِلُ الْآدَابِ بَجَمْعِهَا فِي غُنْفِوَانِ الصِّبَا كَالنَّقْشِ فِي الْحَجَرِ
هِيَ الْكُنُوزُ الَّتِي تَنْمُو دَحَائِرُهَا وَلَا يُحَافُ عَلَيْهَا حَادِثُ الْغَيْرِ

والقراءة كما هي وسيلة للتنمية الفكرية فهي وسيلة للمتعة والتسلية. "تحقق القراءة وظيفة أخرى ذات بعد نفسي، فالإنسان لا يمكنه أن يبقى جاداً دائماً، ولا بد له من لحظات يبحث فيها عن الاسترخاء وراحة الذهن من الكد، والنفس من الانقباض، والعقل من التقصي، والأعصاب من التوتر. والقراءة بقصد التسلية والترويح عن النفس خير سبيل إلى ذلك؛ لأنها لا تقتضي التركيز والنقد وإنما الاطلاع العابر والتصفح السريع. فبقراءة نكتة، أو خبر طريف، أو قصيدة جميلة، أو قصة ممتعة... إلخ، سرعان ما يشعر المرء بالاسترخاء ويستعيد شيئاً من توازنه النفسي بعد ساعات من التعب. وبذلك يلي حاجة نفسية ضرورية. والقراءة بهدف المتعة سبيل جيد لتزجية أوقات الفراغ، والقضاء على الشعور بالملل، والانشغال في لحظات الوحدة والانفراد. على أن ذلك لا يخلو من فائدة معرفية: علمية أو أدبية يجنيها المرء من القراءة الممتعة" (الموسوعة العربية، 2004م، اللعب).

الفصل الثالث: محفزات

نماذج نجحت في تكوين علاقات متميزة

أم الأوزاعي ترضى الأمانة

نعثر في سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي على قصص تكشف فضل الأمهات في أدب الأبناء وإسهاماتهن المشرقة في رفد الحضارة الإسلامية بالنوابغ. "قَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ: فَمَا رَأَيْتُ أَبِي يَتَعَجَّبُ مِنْ شَيْءٍ فِي الدُّنْيَا، تَعَجَّبُهُ مِنَ الْأَوْزَاعِيِّ، فَكَانَ يَقُولُ: سُبْحَانَكَ، تَفَعَّلُ مَا تَشَاءُ! كَانَ الْأَوْزَاعِيُّ يَتِيمًا فَقِيرًا فِي حَجْرٍ أُمِّهِ، تَنَفَّلَهُ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ، وَقَدْ جَرَى حُكْمُكَ فِيهِ أَنْ بَلَغَتْهُ حَيْثُ رَأَيْتَهُ، يَا بُنَيَّ، عَجَزَتْ الْمُلُوكُ أَنْ تُؤَدِّبَ أَنْفُسَهَا وَأَوْلَادَهَا أَدَبَ الْأَوْزَاعِيِّ فِي نَفْسِهِ، مَا سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً قَطُّ فَاضِلَةً إِلَّا اخْتِاجَ مُسْتَمِعِهَا إِلَى إِثْبَاتِهَا عَنْهُ... قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ: مَاتَ أَبِي وَأَنَا صَغِيرٌ، فَذَهَبْتُ أَلْعَبُ مَعَ الْعِلْمَانِ، فَمَرَّ بِنَا فُلَانٌ - وَذَكَرَ شَيْخًا جَلِيلًا مِنَ الْعَرَبِ - فَقَرَأَ الصَّبِيَانُ حِينَ رَأَوْهُ، وَتَبَّتْ أَنَا، فَقَالَ: ابْنُ مَنْ أَنْتَ؟

فَأَحْبَبْتُهُ. فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، يَرْحَمُ اللَّهُ أَبَاكَ. فَذَهَبَ بِي إِلَى بَيْتِهِ، فَكُنْتُ مَعَهُ حَتَّى بَلَغْتُ، فَأَلْحَقَنِي فِي الدِّيْوَانِ". بمعنى عينه في وظيفة محترمة.

إن الأم المخلصة تستطيع أن تصنع حياة الأطفال والأبطال وتقوم بتربيتهم تربية حسنة يعجز عن القيام بحققها كثير من الأثرياء والأمراء.

أم سفيان الثوري ترسم خارطة الطريق

إنها أم لا تلتفت للوراء بل تخفضت بكل طاقاتها لتقدم للأمة الإسلامية كلها عالماً فاضلاً جليلاً يملأ طباق الأرض علماً ونوراً. إنها من أشهر عابدات الكوفة. كانت مواعظها الدينية الصادقة تربي ابنها وتزيده بصيرة وكانت أسوة حسنة. بجانب كل عظيم أو عظيمة امرأة ذكية زكية وخلف كل إنسان عظيم تربية حسنة وتوجيهات كريمة. ها نحن أولاء مع أم سفيان الثوري ترسم لنا بحكمة خارطة طريق تربية الأبناء واستنهاض الناشئة وفي ذلك شفاء لما نلاقه من مصاعب تثقيفية، ودواء لما نعانيه من متاعب تربوية.

قالت أم سفيان الثوري له: يا بني، اطلب العلم، وأنا أكفيك بمغزلي [أسانذك بدفع ما تحتاجه من مال لكتبك. المغزُل: ما يُعزَلُ به الصَّوْفُ والقَطْنُ]، يا بني، إذا كتبت عشرة أحرف، فانظر هل ترى في نفسك زيادة؟ فإن لم تر ذلك فاعلم أنه لا ينفك.

انتبهت أم سفيان الثوري إلى أهمية الجانب الروحي فحرصت على تسليح ولدها بالتقوى لأن العلم وحده لا يكفي أبداً بل العلم بلا خشية من الله ضلال.

هو سفيان بن سعيد بن مسروق، الثوري (97 - 161 هـ). أمير المؤمنين في الحديث وكان رأساً في التقوى، من كتبه "الجامع الكبير"، و"الجامع الصغير" كلاهما في الحديث. قال الشاعر عبدالرحمن العشماوي في وصف كفاح أم سفيان الثوري:

أُمُّ سُفْيَانَ يَا حَلِيفَةَ صَبْرٍ	جَعَلَ الْيُسْتَمَ هَمَّةً واحْتِرَامًا
مَغزَلُ الْعِزِّ فِي يَدَيْكَ أَرَانَا	كَيْفَ تَرَعَى الْمَعَازِلَ الْإِيْتَامَا
مَغزَلُ يَنْسُجُ الرُّجُولَةَ ثَوْبًا	يَبْدِ الْأُمِّ كَيْ تَصُونَ الْعُلَامَا
إِعزَلِي الثَّوْبَ ثُمَّ بِيْعِيهِ حَتَّى	تَرْفَعِي لِابْنِكَ الْحَبِيبِ الْمَقَامَا
امْنَحِيهِ الْمَالَ الْحَالَ قَائِلِي	لَا أَرَى مِثْلَهُ يُسْبِغُ الْحَرَامَا
وَابْعَثِي الْمَغزَلَ الْجَمِيلَ إِلَيْنَا	كَيْ نُدَاوِي بِنَسْجِهِ الْأَسْقَامَا
كَيْ تَرَى الْأُمّهَاتُ فِيهِ شُمُوحًا	صَارَ رَمزًا بِهِ وَصَارَ وَسَامَا

وختم الشاعر قصيدته الرائعة قائلاً:

أُمَّ سُفْيَانَ يَا كَرِيمَةَ نَفْسٍ مَلَأَتْ صَفْحَةَ الْحَيَاةِ التَّزَامَا
 حَدَّثَنَا الْأَجْزَادُ عَنْكَ فَقَالَتْ هَكَذَا يَصْنَعُ الْكَرِيمُ الْكِرَامَا
 هَكَذَا صَاغَتْ الْأُمُومَةُ طِفْلاً فَعَدَا سَيِّدًا وَصَارَ إِمَامَا

أعرابية تنصح ولدها

قال أبان بن تغلب، وكان عابداً من عباد البصرة: شهدت أعرابية وهي توصي ولداً لها يريد سفرًا وهي تقول: أي بني، اجلس أمنحك وصيتي، وبالله توفيقك، فإن الوصية أجدي عليك من كثير عقلك. قال أبان: فوقفت مستمعاً لكلامها، مستحسناً لوصيتها، فإذا هي تقول: يا بني، إياك والنميمة فإنها تزرع الضغينة، وتفرق بين المحبين. وإياك والتعرض للعيوب فتتخذ غرضاً [تصبح هدفاً يضره الأعداء]، وخليق ألا يثبت الغرض على كثرة السهام، وقلما اعتورت السهام غرضاً إلا كلمته [جرحته] حتى يهي [يضعف] ما اشتد من قوته. وإياك والجود بدينك والبخل بمالك. وإذا هزرت فاهز كريمةً يلين لمهزتك، ولا تهز اللئيم فإنه صخرة لا ينفجر ماؤها. ومثل لنفسك مثال ما استحسنت من غيرك فاعمل به، وما استقبحته من غيرك فاجتنبه، فإن المرء لا يرى عيب نفسه... ثم أمسكت [سكتت]، فدنوت منها فقلت: بالله عليك يا أعرابية إلا ما زدته في الوصية. قالت:

أوقد أعجبك كلام العرب؟ قلت: نعم. قالت: والغدر أقبح ما تعامل به الناس بينهم. ومن جمع الحلم والسخاء فقد أجاد.

المعلمة نانسي والحضارة

صاحبت المعلمة نانسي ابنها العبقري أديسون في مشوارها التربوي، وتفرغت له وأضحى حلمها العريض وأملها العظيم حتى تم تحصيل المطلوب بامتياز مع مرتبة الشرف الإنساني الرفيع. فيما يلي ومضات حضارية من تجربة تعليمية لأم مع ابنها يشكلان سيمفونية فريدة في تربية الناشئة.

سجل توماس ألفا إديسون (1847-1931) باسمه أكثر من ألف اختراع وانتفع بلايين البشر من إبداعاته ولا زلنا نعتبر أفكاره أساس القفزة الهائلة في مجال الكهرباء والمخترعات الحديثة. لقد ساهم - أكثر من أي شخص آخر - بتجاربه الجادة واختراعاته العلمية المبهرة في تحسين نوعية الحياة على مستوى العالم كله. لقد قامت أمه نانسي إليوت أديسون (Nancy Elliott Edison) بتعليمه بعد أن طرد من المدرسة لغبائه على حد زعمهم! وقفت الأم بجانب ابنها وأعطته الثقة فلم تخذله وهو أيضاً لم يخذلها. لم يصدق توماس أستاذه بأنه غبي وآمن بكلام والدته التي عاملته على أساس أنه ذكي وأخذت تقرأ له وتعلمه حتى انطلق فكره، وتحرر من قيود المدرسة، وعشق العمل، ولم تحطمه التجارب الفاشلة

التي قام بها رغم كثرتها. لقد أصبح أديسون يتعلم في البيت وأصبح قارئاً فانياً يتشوق للاكتشافات وتطوير حياة البشر.

قال توماس أديسون: "إن أمي هي التي علمتني وصنعت مني إنساناً (My mother was the making of me)، لأنها كانت تحترمني وتثق في، أشعرتني أني أهم شخص في الوجود، فأصبح وجودي ضرورياً من أجلها وعاهدت نفسي حينئذ أن لا أخذها أبداً". صنعت نانسي من أديسون عالماً وذلك بحسن صحبتها لابنها. هذا الإحساس تيار إنساني شفيف نجحت الأم في أن تلامس قلب ابنها عبر الصحبة الواعية لتمرر معاني الثقة بالنفس والإحساس بالمسؤولية. رحل توماس أديسون بعد أن أرست أفكاره الأساس للثورة التكنولوجية الحديثة كما تشير الموسوعة البريطانية. حدث ذلك كله بعد أن زرعت أمه ناسي في نفسه الثقة وحب العلم وصنعت منه أعظم مخترع. لا يمكن أن نتأثر إيجابياً بمن لا يصاحبنا ولا يؤمن بمواهبنا .

تلقي الموسوعة العربية (2004م) المزيد من الضوء على طفولة أديسون وصدر شبابه ودور أمه المريية الذكية والمعلمة الطموحة التي ضحت بالكثير من أجل صناعة عبقرية عز نظيرة. "توماس ألفا إديسون Thomas Alva Edison مخترع أمريكي، يُعد من العباقرة البارزين في تاريخ الصناعة والتقانة ومن أكثر المخترعين إنتاجاً في كل العصور إذ مُنح أكثر من ألف براءة اختراع أمريكية هي من عمله هو أو من عمل فريق تحت إشرافه. وقد ساعدت ثلاثة من اختراعاته، هي الحاكي (الفونوغراف) ونظم الإنارة بالمصباح الكهربائي وآلة التصوير السينمائي، في إنشاء صناعات ضخمة غيرت حياة العالم وزادت من رفاهيته. وكان إديسون، إضافة إلى كونه مخترعاً ورجل أعمال ناجحاً، من الشخصيات المرموقة في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. ولد إديسون في ميلان أوهايو، وكان والده صموئيل إديسون تاجر أخشاب وذا ثقافة قليلة، وهو من أصل إنكليزي وأجداد هولنديين، أما والدته نانسي إليوت فكانت مدرّسة أطفال وهي من أصل اسكتلندي. وعندما بلغ إديسون السابعة اضطرت الأسرة، بسبب ضعف مواردها المالية، إلى أن تهاجر إلى بورت هيبورن في ميشيغان حيث عاشت في ظروف أشد فقرًا.

وكان إديسون منذ طفولته يتعلم بطرح الأسئلة والبحث عن علة الأشياء واكتشاف ذلك بنفسه، وقد أدخله والده المدرسة ولكن لم يستمر فيها سوى ثلاثة أشهر لأن الطريقة المتبعة في التدريس كانت ضرب التلاميذ وإرهابهم والسخرية منهم، فتولت أمه بنفسها تعليمه وتنشئته وتفرغت له إذ تركت تدريس الأطفال بعد زواجها. وأكمل إديسون تعلمه في البيت لمدة 3 سنوات، وعندما بلغ العاشرة أعطته أمه كتاباً مبسطاً في الفيزياء التجريبية فقرأه بنهم واختبر كل ما جاء فيه بنفسه. وأقام في العام التالي مختبراً كيميائياً صغيراً في سقيفة البيت.

وبسبب حاجته المادية إلى مزيد من المال لشراء الأجهزة والأدوات والمواد الكيماوية امتن، حين بلغ الثانية عشرة، بيع الصحف في القطار بين مدينتي بورت هيورن وديترويت ونقل مختبره الكيماوي من السقيفة إلى عربة البضائع في القطار كسباً للوقت، وكان ينتهز فرصة انتظاره عودة القطار إلى بورت هيورن ليقرأ ما يشاء من الكتب في مكتبة ديترويت العامة. وعندما بلغ الخامسة عشرة اشترى آلة طباعة صغيرة وأصدر صحيفة بصفحة واحدة سماها «الميرالد الأسبوعية» كان يطبعها وينشرها ويبيعها في القطار. لقد اصطحبت نانسي طفلها وعلى وقع لحن الكفاح والمثابرة ربطت ابنها بالقراءة والتجربة ونجحت في انتقاء الكتب النافعة الكفيلة بترقية وتنمية ولدها وكان لها ما أرادت وحولت حبها وعاطفتها لولدها إلى مشروع متحرك تم التخطيط له والتضحية من أجله وسخرت خبرتها التعليمية في بناء شخصية إنسانية فذة خدمت بإبداع الإنسانية كلها.

وفي عام 1863، وكان إديسون في السادسة عشرة، تعلم مبادئ البرق السلبي (التلغرافية) وشغل وظيفة عامل تلغراف طوال السنوات الأربع التالية، وبدأ في أثنائها يحلم بأن يكون مخترعاً، وتحقق طموحه هذا في عام 1868 عندما عمل في شركة الغرب المتحدة للبرق السلبي في بوسطن، وفيها اشترى نسخة مستعملة من كتاب فارادي «بحوث تجريبية في الكهرباء» فقرأه كله وكان ذلك نقطة تحول مهمة في حياته. كان أول اختراعاته جهازاً كهربائياً يسجل تلقائياً أصوات الناخبين لكن لم يجد من يشتري هذا الجهاز، ثم أدخل تحسينات على جهاز البرق الكاتب الذي بيع بأقل من كلفته، وقد حصر إديسون تفكيره منذ ذلك الوقت في اختراع ما يقبل الناس على شرائه ويزيد من رخاء الحياة. أمي صنعتني ... هذه عبارة توماس أديسون في وصف وتلخيص رحلته في الحياة.

تمارين

التمرين (1)

كلمات أعجبتني في هذا الكتيب	ملخص لبعض الأفكار الرئيسية في الكتاب	موضوعات جديدة لم يذكرها الكتيب

--	--	--

التمرين (2)

لكي تطور معا استراتيجياتنا مع أبنائنا

سلوكيات جديدة سأطبقها في الفترة القادمة	سليبات سأتوقف عنها	إيجابيات سوف أحافظ عليها في توثيق علاقتي مع ابني

التمرين 3

اختراري في ذهنك أسرة تعرفينها في السابق أو حالياً أو قرأت عنها ثم أكمل الجدول

التالي

الدروس العامة المستفادة من تلك الأم	أهم أنشطة الأم في الأسرة للتواصل مع ابنها	سلبيات العلاقة الأسرية في تلك الأسرة	إيجابيات العلاقة بين الأم وابنها في تلك الأسرة

التمرين 4

ما أهم الصفات الجميلة في ابني في علاقته معي كأُم وكيف سوف أنميها فيه؟

الخاتمة

وفي ختام هذه التوجيهات التربوية للأسرة فإن التواصل بالخير وتبادل قصص النجاح والتفوق ونقل الخبرات الجادة وترك الناشئة لاختيار الصالح منها من ركائز التميز. إن الثقة بقدرات شباننا وبناتنا من أساسيات الأسرة في رحلتها مع تهيئة الناشئة لاجتياز مرحلة الطفولة والمراهقة بسلام ودخول بوابه مرحلة شبابية جديدة.

أيتها الأم العظيمة علمي ابنك أن الله يبتلي ليصطفي، ويمنع ليعطي، ويأخذ ليهب. أيتها الأم العظيمة علميه أن الوهاب سبحانه يمنح الحب ويهبه لأوليائه ويضاعفه فهو كريم العطاء، واسع السخاء. أيتها الأم العظيمة علميه أن الرزاق سبحانه يجعل الأم في عين ولدها أغلى الأحباب وأعظم الأصحاب.

أيتها الأم العظيمة إن الحياة في رحاب الأسماء الحسنى غاية المني فاعتنمي الفرص لتكون همتك فوق السحاب. أيتها الأم العظيمة صداقتك ضوء الفجر الجميل في حياة ابنك ومجتمعك ويمد أمتنا بالكرامة والرفعة والفضيلة التي تقود الحياة إلى الأمام: علما وعطاء، وحبا وحزما في آن واحد.

إن مع كل عسر يسرا وفرجا، وإن بعد الليل فجرا ومخرجا. صدق عزيمتنا وحسن التربية طريقنا للقضاء على العداوة والفساد والخصام في أسرتنا وأركان مجتمعنا. مواجع الأمس ليس فيها حيز للعمل ولا يلتفت إليها المجتهد أما اليوم والغد فالخافز جزل، والحيز وفير فلقد وهبنا سبحانه الكثير لنجعله جميلا بأفعالنا، شاهدا لرحيق صداقاتنا. يمكننا أن نجعل الصداقة والقرابة تدعم الثقافة الأسرية وتؤيد المسيرة التربوية إذا آمننا بها وعملنا بمقتضياتها {وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} (هود: 115).

أهم المراجع العربية

- أبو حيان التوحيدي (1428هـ - 2007م). *الصداقة والصديق*. دراسة وتحقيق: الشربيني شريدة. القاهرة: دار الحديث.
- أبو سريع، أسامة سعد (1414هـ-1993م). *الصداقة من منظور علم النفس*. الكويت: سلسلة عالم المعرفة: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
- آدم، حاتم محمد (1426هـ-2005م). *الصحة النفسية للمراهقين*. ط1، القاهرة: مؤسسة اقرأ.
- اسبيلاند، باملا (2006م). *قوائم الحياة للمراهقين: نصائح، توجيهات، إرشادات للنضوج، المصادقة، التعلم والمتعة*. ط1، الرياض: مكتبة جرير.
- باركر، ستيف (2009م). *جسم الإنسان*. ترجمة د. خالد مسعود شقير. مراجعة علمية: د. محمد أحمد حجازي . ط1، الكويت: مؤسسة الكويت للتقدم العلمي.
- بكار، عبدالكريم (1428هـ). *إلى أبنائي وبناتي: 50 شمعة لإضاءة دروبكم*. الرياض: مؤسسة الإسلام اليوم.
- بكار، عبدالكريم (1422هـ- 2001 م). *دليل التربية الأسرية: 75 ملحظا تربويا للأبوين*. الطبعة الأولى. الرياض: دار الأعلام.
- بكار، عبدالكريم (1430هـ). *التواصل الأسري: كيف نحمي أسرتنا من التفكك*. الرياض: مؤسسة الإسلام اليوم.
- بكار، عبدالكريم (1432هـ-2011م). *طفل يقرأ: أفكار عملية لتشجيع الأطفال على القراءة*. ط2، الرياض: دار وجوه.
- بيتر، رون هيرون وفال جيه (2010م). *اكتسب الأصدقاء والأقرباء وكن واحدا منهم*. ط3، الرياض: مكتبة جرير.
- بينسون، بيتر وآخرون (2007م). *ما يحتاجه المراهق للنجاح*. ط1، الرياض: مكتبة جرير.
- الثويني، محمد (بدون تاريخ). *كيف أكون صديقا لابني؟ الكويت: الأمانة العامة للأوقاف*.
- الجزيري (بدون تاريخ). *الجلس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي*. بيروت: عالم الكتب.
- حلبي، هالة (1994م). *غفوا لأبنائنا هذا الصديق غير مناسب!* . مجلة العربي (الكويت) عدد 429 (1994/08/1).
- الدجوي، رضوى (1430هـ-2010م). *مفاتيح الحياة*. ط1، القاهرة ألفا.
- الرباعي، زكي مهدي محمد (1429هـ - 2008م). *دليل الآباء لتنمية مهارات الأبناء*. ط1، بيروت: دار ابن حزم.
- الرشدي، بشير صالح والخليفي، إبراهيم محمد (1429هـ - 2008م). *سيكولوجية الأسرة والوالدية*. ط2، الكويت: إنجاز العالمية للنشر.
- الرشدي، بشير صالح - الجناعي، منى بدر (1432هـ-2011م). *دليل الآباء في تربية الأبناء*. ط1. الكويت: إنجاز.
- الرومي، علي بن عبدالرحمن (1431هـ). *تعامل الآباء مع احتياجات الأبناء: دراسة اجتماعية باستخدام مجموعات النقاش الخورية*. في ندوة *ماذا يريد الأبناء من الآباء*. ط1، الرياض: مؤسسة ديوان المسلم.

- رياض، سعد (2008م). آباء وأبناء: مجموعة مواقف تربوية تؤثر في شخصية الطفل. ط1، القاهرة: إبداع.
- زايد، فهد خليل (1430هـ - 2010م). فن التعامل مع الأصدقاء. ط1، الأردن: دار النفائس.
- زايد، فهد خليل (1430هـ - 2010م). فن التعامل مع الأطفال. ط1، الأردن: دار النفائس.
- سبوك، بنجامين (2009م). كتاب د. سبوك لرعاية الطفل للقرن 21: دليل الوالدين لتنشئة الأطفال من الميلاد حتى المراهقة. إضافات وترجمة: روبرت نيدلمان. ط6، الاسكندرية: نخضة مصر.
- السفاري، محمد بن أحمد بن سالم بن سليمان (2002م). غذاء الألباب شرح منظومة الآداب. بيروت: دار الكتب العلمية.
- السلمي، أبو عبدالرحمن (1410هـ/1990م). آداب الصحبة. موسوعة الحديث الشريف على شبكة إسلام ويب (islamweb.net).
- سمولي، جاري (2010م). المفتاح لقلب طفلك: تنشئة أطفال متحفزين، ومطيعين، ومحبين. ط1، الرياض: مكتبة جرير.
- سولت، إس (2011م). تبليغي دائما كما أنا: إرشادات من المراهقين لتنشئة آباء مثاليين. ط2، الرياض: مكتبة جرير.
- سولت، إس (2011م). قبلي قبله المساء دائما: إرشادات الصغار لتنشئة آباء مثاليين. ط2، الرياض: مكتبة جرير.
- الشماس، عيسى (2004م). موسوعة التربية الأسرية للأطفال "مواقف ومشكلات وحلول". دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب.
- صالح، محمد بن أحمد (1427هـ - 2006م). عناية الشريعة الإسلامية بالطفولة. في: أدبيات الطفولة في التراث الإسلامي. في قضايا الطفل من منظور إسلامي. المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو). ص ص 419-439.
- عامود، بدر الدين (2001م). علم النفس في القرن العشرين. موقع اتحاد الكتاب العرب على شبكة الإنترنت (awu-dam.net). دمشق.
- عبدالجواد، محمد أحمد (1426هـ - 2005م). كيف تحاور أبنائك وتستمتع بهذا الحوار. ط1 القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية.
- عبدالمعطي، عبدالله محمد (1428-2007م). كيف تكون أبا ناجحا: حلقات تربوية هادفة. ط1، القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية.
- العتار، مها فائق (1999م). الأم... أعرق المدارس. مجلة العربي، العدد 486، 1-5-1999م.
- العمرى، محمد مصطفى (2007م). الأسرة والأب الغائب. الكويت: مجلة العربي، 579، 1-2-2007م.
- العوار، محمد سليم (2007م). بين الآباء والأبناء: تجارب واقعية. ط3، القاهرة: شركة نخضة مصر.
- فرانكل، فريد (2006م). الصديق الوفي، من الصعب العثور عليه. ط1، الرياض: مكتبة جرير.
- فضل الله، محمد حسين (1432هـ-2011م). من وحي القرآن. موقع بينات (arabic.bayynat.org).
- فكري، علي (2007). آداب الفتى. موقع الإيسيسكو : (isesco.org).
- القيم، علي (2010م). وتبقى الثقافة: رحلة في محراب المعرفة. دمشق الهيئة العامة السورية للكتاب.
- كاركان، صوفي (2010م). 100 قصة وقصة لحل مشاكل الأولاد. بيروت: دار الفراشة.
- كارنجي، دونا ديل (2010م). كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر في الناس للمراهقات. ط1، الرياض: مكتبة جرير.
- كارنجي، ديل (2010م). كيف تؤثر على الآخرين وتكسب الأصدقاء. ط2، الرياض: مكتبة جرير.
- الكندري، لطيفة (1423هـ-2011م). تأديب الطفل باللفظ لا بالعنف: مجموعة دراسات علمية محكمة. ط1، الكويت: المركز الإقليمي للطفولة والأمومة.
- الكندري، لطيفة (1426هـ = 2005م). أضواء تربوية على الطفولة المبكرة في الكويت. الطبعة الأولى. الكويت: المركز شبه الإقليمي للطفولة والأمومة.

- الكندري، لطيفة (1429هـ-2008م). دور الأسرة في توفير الأجواء المناسبة لطلبة وطالبات الثانوية العامة. مجلة المعرفة: العدد 154 محرم-يناير الصفحات من 63 إلى 65. السعودية.
- الكندري، لطيفة حسين - بدر محمد ملك (1432هـ-2011م). سلسلة تربية الأبناء السادسة: اختيار الأصدقاء. ط1، إدارة الصناديق الوقفية، الصندوق الوقفي للتنمية العلمية والاجتماعية. الكويت.
- الكندري، لطيفة حسين - ملك، بدر محمد (2010م). تربية الطفل في كتاب سير أعلام النبلاء. مجلة الطفولة. جامعة القاهرة: كلية رياض الأطفال. العدد الرابع- يناير.
- كوبر، لين هاجنز (2009م). تنشئة المراهقين: 52 فكرة رائعة من أجل تربية عالية الأداء. ط1، الرياض: مكتبة جرير.
- كولن، محمد فتح الله (1432هـ-2011م). الموازين أو أضواء على الطريق. موقع محمد فتح الله كولن. (ar.fgulen.com).
- لاروس (Larousse) موسوعة القرن (2006م). ط1، بيروت: الدار المتوسطة للنشر.
- لاند، مارغو سندير- يانكسب، جاك (2010م). علم الأمومة والأبوة. ط1، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون.
- اللجنة الإسلامية العالمية للطفل (1432هـ-2011م). موقع اللجنة الإسلامية العالمية للطفل. (iicwc.org).
- ماضي، جمال (1430هـ-2009م). كلام للشباب: رحلة البحث عن صديق. ط1، القاهرة: دار الصحوة.
- ماضي، جمال (1430هـ-2009م). كلام للشباب: فن التعامل مع الآباء. ط1، القاهرة: دار الصحوة.
- ماكجينيس، آلان (2007م). عنصر الصداقة الأساسي: كيف تزداد قرباً من تحتم بأمرهم؟ ط1، الرياض: مكتبة جرير.
- محمد، محضير (2004م). موسوعة الدكتور محضير بن محمد رئيس وزراء ماليزيا. القاهرة: دار الكتاب المصري.
- المرجع الأكبر للتراث الإسلامي. شركة العريس. الاصدار الثاني.
- المطوع، نسبية (بدون تاريخ). كيف أكون صديقة لابنتي؟ الكويت: الأمانة العامة للأوقاف.
- ملك، جاسم محمد - والفيلكاوي، أمل عبدالله (2008م). مفكرة الأسرة. الكويت: مؤسسة ديزاين وورلد.
- ملك، بدر، والكندري، لطيفة (1427 هـ - 2006 م). تراثنا التربوي: نطلق منه ولا نتغلق فيه. ط2، الكويت: مكتبة الفلاح.
- المهدي، محمد (1432هـ-2011م). التنشئة الأسرية الموجهة نحو الصلاح الإنساني. موقع الجمعية العالمية الإسلامية للصحة النفسية. (elazayem.com/new(67).htm).
- مورو، ليسلي ماندل (1424 هـ - 2004 م). تطور مهارتي تعليم القراءة والكتابة في السنوات الأولى: مساعدة الأطفال على القراءة والكتابة. ط1، ترجمة: سناء شوقي حرب، راجعه: د. محمد الجمل. العين: دار الكتاب الجامعي.
- موسوعة الأسرة (1432هـ-2011م). ط1، الكويت: اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية.
- الموسوعة العربية (2004م). دمشق: هيئة الموسوعة العربية.
- الموسوعة الفقهية (2008م). الكويت: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية.
- موقع أ. د. لطيفة حسين الكندري، (1432هـ-2011م). (latefah.net)
- موقع التفسير (1432هـ-2011م). مؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي في الأردن: (altafsir.com).
- موقع المحدث (1432هـ-2011م). (muhaddith.org).
- ميتشل، أليسون (2011م). دليل الأمومة الرشيدة. ط1، مصر: دار الفاروق للاستثمارات الثقافية.
- الميداني، عبدالرحمن حسن حبنكة (1429هـ-2008م). الأخلاق الإسلامية وأسسها. ط8، دمشق: دار القلم.
- ميلر، باتريشيا (1425هـ - 2005م). نظريات النمو. ترجمة: محمود عوض الله سالم وآخرون. ط1، دار الفكر، الأردن.
- ناجي، رجاء (1427م - 2006م). الحماية القانونية للأطفال مواجهة بالمتغيرات الاجتماعية والاقتصادية. قضايا الطفل من منظور إسلامي. منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيسكو).

النجار، خالد سعد (1429هـ-2009م). *موسوعة الطفل: المرابي الناجح، أسس الرعاية الإيمانية والتربوية*. ط1، القاهرة: دار الكوثر.

النعيمي، مريم عبدالله (1426هـ - 2005م). *المملكة الأسرية*. بيروت: دار ابن حزم.
هاينز، سيندي (2009م). *كتاب الصداقة: من أجل حياة أفضل*. ط3، الرياض: مكتبة جرير.
ياجر، جان (2008م). *عندما تصبح الصداقة مؤلمة*. ط3، الرياض: مكتبة جرير.
ينجز، نل نود (2009م). *السعادة والتربية تعليم بلا دموع*. ترجمة د. فاطمة نصر، القاهرة: مكتبة الأسرة.

أهم المراجع الأجنبية

- Brunkhorst, S (2011). 7 Powerful ways to show love to your children. In *Quest*, April, issue 25. Altar publishing MFZE: Ras Al Khaima .
- Canfield, M & Others (2005). *Chicken Soup for Fathers & Daughters soul*. Florida: Health Communications.
- Dewar, G (2009). Should parents be friends with their kids? (parentingscience.com).
- Evans, J. L (2009). *What about the children: How to help children survive: Separation and divorce*. London: Bantam Press.
- family**. (2011). *Encyclopædia Britannica*. Chicago.
- Fuller, C & Plum, A (2010). *Mother – Daughter Duet: Getting to the Relationship You Want with Your Adult Daughter*. Colorado: Multnomah Books.
- Gillot, L & Sibiril, V (2005). *Dealing with MOM: how to understand your changing relationship*. New York: HNA.
- Glass, C (2010). *Happy Kids: The secret to raisin well-behave, contented children*. UK: Harper.
- Hayman, Z (2008). *Single Parenting*. UK: Teach yourself.
- Kelly, J (2011). *thedadman dot com* (thedadman.com).
- Lamanna, M. and Riemann, A (2009). *Marriages and Families: Making Choices in a Diverse Society*. Tenth edition. Thomson: Australia.
- Meggitt, C (2007). *Child Development: An illustrated guide*. DVD Edition. Heinemann. Great Britain .
- Parker-Pope. T (2009). *WELL: What Are Friends For? A Longer Life*. The New York Times: (nytimes.com).
- Perigot, J (2007). *Dealing with DAD: how to understand your changing relationship*. New York: HNA.
- Razik, T. & Swanson, A. (2001). *Fundamental concepts of educational leadership* (2nd ed.). Columbus, OH: Merrill/Prentice-Hall.
- Sell, C (2008). *Cup of comfort for mothers and sons*. Massachusetts: Adams Media.
- Shaffer, S. M & Gordon, L. P (2005). *Why Girls Talk--And What They're Really Saying: A Parent's Survival Guide to Connecting with Your Teen*. McGraw-Hill. Place of Publication: New York.
- Smith, E. E & Others (2003). *Athkinson & Hilgard's: Introduction to Psychology*. 14 th ed, USA: Thomson.